الفصل الثالث

كيف اخترقت ثقافة التغريب والشبهات المجتمع المسلم وكيف أصبح الإستقطاب هو دين العصر

قال الشاب: وما الذى يحتاجه الفقيه إلى جوار العلم والذكاء كى يفتى الناس ؟

أجاب الكاتب:

قبل أن أجيبك عن هذا السؤال نحتاج لنقطة تضبط الحوار، لأن إجابة هذا السؤال ستحتاج منى إلى ذكر أمثلة لفتاوى شاذة يقول بها تيار معين أو عالم معين ، وهذا النقد الموضوعى لا يعنى إسقاط هؤلاء العلماء كليا ، فكما نؤكد دائما فى حواراتنا أننا لا نتبع معصومين ، بل نتبع علماء لهم حتما أخطاء معدودة ـ وكفي بالمرء حُسنا أن تُعد معايبه ـ وإسقاط عدالة أى شخص أو أى عالم لا تكون أبدا للأخطاء ، أو الزلات ، بل تكون للجرائم المتعمدة والنية المبيتة للتضليل،

قال الشاب : ولكن جيلنا يفهم تماما هذه الضوابط .

أكمل الكاتب :

أنا أحب تكرار هذا دائما لأن تجارب الحوار المختلفة أثبتت لى أن ثقافة تمييز النقد عن الهجوم غائبة عن بلادنا بشكل فادح ، وهى نتيجة طبيعية لما نتكلم عنه دوما من حالة التعصب والتحزب القاتلة ، فكل شخص يناصر عالما او مفكرا أو تيارا .. لا يقبل عليه عيبا ، ولا يأخذ من غيره معرفة أو معلومة !!

فهؤلاء يظنون العلماء أنبياء، وقد واجهت تعبيرات دهشة كثيرة وغريبة من عدد كبير من المثقفين عندما يعلمون مثلا ـ رغم أنى لست ناصريا ولا يساريا وبدون أى انتماء أيديولوجى ـ ، أننى أقرا لهيكل وفؤاد زكريا ـ رغم تناقضهما وعدائهما المعروف ـ واعتبرهما من رواد مجالات الفكر السياسي والفلسفي ، ومعهم فى نفس الوقت أنيس منصور ـ رغم أنى قلت لك رأيي فى الفلسفة الغربية وأنيس منصور رحمه الله من أعلام الفلسفة ـ ومصطفي محمود ، كما آخذ من علم السلفيين وعلوم الأزهر ـ رغم تضاد الجانبين ـ ، وأقرأ كتب التراث ، وأيضا أقرأ روايات الشباب ، وأحب الصحابة وآل البيت معا !! ، ولا أرفض القراءة بهدف التأييد والاستفادة ، إلا إذا الكاتب مبتدعا صريحا فى الدين ويروج لبدعته هادفا لطعن السنة ، أو كاتب صاحب اتجاه معروف يعمل ببرنامج

محدد موجه للدين أو للعروبة أو اللغة أو أى شيئ يمس ثوابتنا ، أو كاتب سياسي مضلل يعلم بأنه يضلل الناس ومع ذلك يصر على ما يفعل أما من حيث القراءة ـ كمبدأ ـ وليس بهدف الاستفادة أو التقرير ، فهذه بلا محظورات نهائيا حيث نقرأ لأعدائنا بهدف الرد

تعجب الشاب قائلا : ونحن جميعا نفعل ذلك وأكثر .. فما الغريب ؟!

قال الكاتب:

أنت تراه أمرا طبيعيا ، لكنك لم تجرب النقاش مع بعض الأجيال التى سبقتنا ، فنادرا ما تجد من يجمع بين هؤلاء المفكرين والعلماء ويحترمهم جميعا ، نظرا لأن الثنائيات التى ذكرتها لك ، بينهم خلافات سياسية وخصومات مذهبية وأنصارهم على نفس هذه الخصومة ، وما نفعله نحن الآن ـ كجيل مستقل ـ هو نفس ما كنا نفعله نحن العرب فى زمن حضارتهم ، حتى أن علماء الحديث قرروا قاعدة تقول (لا نقبل قول العلماء الأقران فى بعضهم البعض) ومهما كانت مكانة العالم وأمانته العلمية لم يكن تلاميذهم يعملون بأحكامهم فى خصومهم من أقرانهم ، لأن الأقران متنافسون ـ خاصة لو عملوا فى مجال واحد ـ ومن الطبيعى أن يتحامل الإنسان على قرينه المنافس ، وليس عيبا فى العلماء أن يفعلوا ذلك ، لأنهم بشر وهذه الطباع طباع بشرية .. لكن العيب أن نتخذها أحكاما لإسقاط العدالة.

قال الشاب:

نحن عملنا بهذه القاعدة التى ذكرتها دون أن نعرفها ..

قال الكاتب:

لأنها فطرة ، وهكذا كل فضيلة تعلمناها ستدرك فى لحظة ما ، أن مصدرها عميق فى الحضارة الإسلامية ، وهذا طبيعى لأن أجيال الإسلام الأولى اختارها الله لحمل الرسالة وزكاهم ومدحهم ، فلابد أن يكونوا أفذاذا ..

قال الشاب:

بدأت أعرف ذلك عندما نفذت نصيحتك بقراءة السير الذاتية للأعلام القدامى ، ولكن بالنسبة لأخطاء المعاصرين هل ستذكر الأخطاء بأسماء أصحابها ؟

قال الكاتب :

هناك أخطاء متكررة بسبب المرجعية الفكرية أو الحزبية ، لذلك فعندما اضرب لك مثالا على خطأ من علماء الأزهر ، فهذا لا يعنى إطلاقا أن كل علماء الأزهر على نفس

النهج ، وكذلك إذا قلنا بأخطاء فى المدرسة السلفية العامة ـ وليس السلفيون فى مصر ـ فلا يعنى هذا تعميم الخطأ على المدرسة بكاملها ، لان الاختلاف داخل المدرسة الواحدة اختلاف كبير فى كل تيار ، ولكن شذوذ الأقوال والفتوى انتشرت بسبب سرعة انتشار الأقوال الغريبة غير المألوفة ، وكذلك فإن الخصومات لها شعبية بين الناس ، لكن هذا لا يعنى إسقاط الحكم على الجميع .. بل إن معظم الأخطاء التى سأذكرها للتمثيل هى أخطاء انتقدها على صاحبها علماء من نفس تياره لهذا فلا داعى لذكر الأسماء إلا إذا كانت أسماء محددة بمناهج كاملة مضللة وليست مجرد أخطاء ، فهنا يجب أن نذكر اسم صاحبها للتحذير منه وحتى لا نأخذ منه العلم لأنه غير مؤتمن .

سـأل الشاب:

هل معنى هذا أن العلمانيين مثلا ليسوا كلهم على درجة واحدة من مهاجمة الثوابت ؟

قال الكاتب:

القاعدة التى قلتها لك إنما تنطبق على التيارات صاحبة الفضل فى العطاء العلمى والفكرى للأمة بمعنى أنها تيارات تهدف فى الأصل لخدمة العلم والدين ، أما التيارات التى نشأت بدافع تحطيم الحضارة الإسلامية بعقيدتها وسنتها وتاريخها أو التجارة بهم لغرض الحكم ، فهذه التيارات حكمها عام ومتحد لأن من يدخلها ويصبح داعية لها ، يدخلها وهو عارف تماما بمحتواها ويوافق عليه ، بخلاف من يدخلها بظن الخير ولا يعلم حقيقتها ، .. كذلك إن وجدتنى اذكر لك اسم احد العلماء محذرا منه بشكل كامل ، فهذا يعنى انه عالم انحرف بعلمه ، ولم يراع أمانته ، وبالتالى فلا يمكن أن نقبل منه حقا أو باطلا ، ولن يكون هذا الحكم منى قطعا بل من علماء متخصصين.

سـأل الشـاب: أفهم أننا لا نأخذ منه الباطل ، ولكن لماذا لا نأخذ الحق منه مع أننا نقبل الحق حتى من الأعداء كما قال بعض المفكرين ؟

أجاب الكاتب:

خذ الحق ولو من أعدى أعدائك طالما انه عدو صريح ، ولكن لا تقبل الحق أبدا من المنافق المغرض، أى صاحب الهوى حتى لو كان من حلفائك ، لأن العدو الصريح أمامك أنت بالفعل متأهب له ومستعد لما يأتيك به ، ولكن الذى يقدم لك الحق على طبقٍ من غرض خفي فلا تأخذه منه ولو كنت واثقا من صدق ما يقول ، لان غرضه الخفي من قول الحق هنا من المؤكد انه ليس فى مصلحتك ، هذا إن أعطاك الحق والحقيقة كما هى ،

لأنه فى الأغلب الأعم سيقدم لك الحقيقة ولكن منقوصة أو مجتزأة بحيث تقلب نظرتك إليها تماما وتتخذ منها موقفا لصالح هذا المنافق وخطورة المنافق أعلى من خطورة الكافر المحارب ، نظرا لأنه مراوغ ، ولهذا جعل الله عز وجل المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ، أى أنهم فى أسفل المراتب بجهنم على الإطلاق ـ عياذا بالله ـ وتفوقوا حتى على الكفار المحاربين أصحاب الجرائم الظاهرة ، لأنهم فعليا أخطر فى جسد الأمة من المحاربين الصرحاء ، وقد قال النبي عليه السلام (أخوف ما أخاف على أمتى منافق عليم اللسان) ، فمواجهة هذا النوع من المنافقين مواجهة صعبة جدا لأن الناس تظن به الخير ويكون هذا المنافق من أصحاب العلم والجدل وبالتالى يزين الباطل للناس ببراعة بحيث يشقي كثيرا العلماء فى محاولة توضيح منهجه وخطورته ، وأمثالهم فى أيامنا هذى كثير وهذا ما كان يفعله علماء السلف فقد كانوا ينتبهون للمنافقين بأكثر مما ينتبهون للكفار الواضحين ، ولهذا قيل فى الأثر (ما شتمك إلا من بلّغك) فالذى يُبلغك بالسب هو صادق بالفعل ويقول الحق ، لكنه بلغك إياه لتحقيق غرضه فى الوقيعة ، فقد يكون من شتمك هو صديق لك أو حتى عدو ولكن جاء السب فى لحظة انفعال أو نوبة غضب ، لا داعى لاعتبارها مبرر للعداء التام بل إن المنافق المغرض قد يقدم لك ما تظنه أنت خدمة كبري ، بينما هو فى الحقيقة يهدف لمنعك من شيئ اكبر ، مثال ذلك القصة الطريفة التى رواها أهل النوادر عن أحد الصالحين ذهب لصلاة الفجر ، فتعثر وسقط على الأرض الموحلة ، فعاد لبيته مجددا واغتسل وذهب للصلاة مرة أخرى ، فوقع مرة ثانية بسبب الظلام ، فعاد واغتسل وذهب فى المرة الثالثة ، وعند البقعة الموحلة وجد رجلا ينتظره وهو يحمل مشعل نور ، وقال له سأصحبك للمسجد حتى تصل بأمان ، فشكره الرجل وعند باب المسجد دعاه للدخول فرفض ، فسأله لماذا ، ومن أنت ؟!

قال له أنا الشيطان ، فاندهش الرجل وسأله .. ولماذا ساعدتنى فى الوصول للمسجد ؟

فقال له : لأنك فى كل مرة كنت تسقط فيها وتعود وتأتى للصلاة مرة أخرى كانت الملائكة تكتب لك الحسنات بأضعاف أضعافها فى كل مرة ، فخشيت أن تسقط مرة ثالثة وتعود ففضلت أن تأخذ ثواب الصلاة وحدها !!

ضحك الشاب معلقا : ياللخبيث ؟!

أكمل الكاتب :

ونعود للسؤال الأصلي ، ما الذى يحتاجه الفقيه إلى جوار علوم الفقه .. ؟

يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة العامة ، فى مختلف المعارف ، ويحتاج إلى معرفة قضايا عصره وأحوال أمته وأسباب تفوقها أو ضعفها ، ويحتاج الخبرة بعوالم السياسة إقليمية ودولية وأساليب الحكم والحكومات فى سياسة الشعوب ، كما يحتاج الخبرة بالإتجاهات الفكرية كافة وأصولها ورجالها ومصادرها ، باختصار ينبغي للفقيه أن يحيط بثقافته أجواء عصره بحيث يكون مثقفا ومفكرا قبل أن يكون فقيها ، وإلا لن يستطيع مواجهة عصره أبدا ، وعلماء السلف كانوا كلهم كذلك، فالفقيه منهم كان عبارة عن موسوعة متنقلة فى شتى صنوف الفكر والآداب والفلسفة ولبعضهم مؤلفات ضخمة في نقد الفكر الفلسفي الإغريقي مثل ابن تيمية وابن الجوزى وأبي حامد الغزالى[٤٩] وغيرهم ، واستمر حال الفقهاء وعلماء الدين على هذا الوضع حتى نهاية القرن الثامن عشر ، ولهذا كان الفقهاء منذ بداية عصر الخلافة وحتى طرد الحملة الفرنسية من مصر هم ضمير أمتهم ، وهم قادة الرأى العام فى كافة قضاياه وهم المستشارون وأصحاب الثقل الإجتماعى الذين يحركون الجماهير ويقودونهم فى قضاياهم المختلفة بل إن بعضهم شارك بنفسه فى قتال العدو المحتل كما فعل ابن تيمية مثلا ، وبعضهم كان قائد الإحتجاجات والمظاهرات على ظلم الحكام مثل شيوخ الأزهر الشيخ الشرقاوى والشيخ الجوهرى والشيخ الخراشي لكن الأمر اختلف فى عصرنا الحالى ، وبالتحديد من نهايات القرن التاسع عشر ، حيث ابتعد الفقهاء عن مجالات الحياة واقتصروا فى معالجة الفتاوى الضيقة المتعلقة بأحكام الدين وحدها دون أحكام السياسة الشرعية والسياسة وقد عانينا أشد المعاناة من بعض العلماء الذين قضوا عمرهم فى صومعة كتب الفقه وحدها ، حتى وجدنا لهم أقوالا وأحكاما تثير البلبلة لغياب ثقافتهم السياسية ، ومعرفتهم بالتاريخ الحديث ، ورغم أن علماء الأزهر حتى عصر محمد على كانوا هم قادة الجماهير ، والممثلون للشعب ، وكانوا أشبه بالبرلمان الشرعى ، وهم الذين قادوا ثورة القاهرة الأولى والثانية فى بداية عصر القومية [٥٠]، وقبلهم فى العصور الأولى كان الفقهاء بالذات هم الذين يسعى الناس إليهم فى المُلمات أيا كان نوعها ، لأن الناس وجدت عند الفقهاء الحلول التى تتفق مع الشرع كبديل لخيارات الحرام فى قضايا النوازل ..

---

(٤٩) للإمام ابن تيمية كتاب شهير فى الفلسفة وهو كتاب ضخم من عدة مجلدات بعنوان (درء تعارض العقل والنقل) ، وللإمام ابن الجوزى كتاب شهير أيضا فى الرد على الفلاسفة والمبتدعة بعنوان (تلبيس إبليس) ، وللغزالى أيضا كتب كثيرة فى هذا المجال أشهرها تهافت الفلاسفة وهى مؤلفات كم ترون بعيدة تماما عن مجالات الفقه أو الحديث.

(٥٠) يرجى مراجعة الجزء الأول والثانى من تاريخ الرافعي بعنوان (تطور الحركة القومية فى مصر) ـ طبعة دار المعارف

إلا أن علماء الأزهر فى العصر الحديث تحاشوا السياسة تماما ـ نظرا لأنها مجال موبوء ـ ولكن كان عليهم اتخاذ حصيلة ثقافية منها تسمح لهم بمعرفة أحوال وطنهم والناس والعالم من حولنا ، وهو ما لم يحدث للأسف ، وعلماء الشريعة بمختلف تخصصاتها يجوز لهم الانغلاق على تخصصاتهم إذا أرادوا ، إلا علماء الفقه ، فطبيعة تخصصهم تقتضي الثقافة والمعايشة التامة مع المجتمع ، بل إن طبيعة عملهم لا تحتاج منهم فقط الحد الأدنى من السياسة والتاريخ الحديث بل تحتاج منهم حدا أعلى يماثل أو يعلو على ثقافة الحكام ، وذلك حتى يتمكنوا من إبداء الرأى الصحيح دون أن ينخدعوا بتبريرات السياسيين الذين قد يسعون لأهدافهم الشخصية، ولهذا ففقهاء عصرنا عندما داهمتهم قضايا أمتهم الكبري وجدنا لهم آراء وقياسات سياسية لا علاقة لها بالواقع، بل وتناقضات هزّت صورتهم أمام الرأى العام ، عندما استجابوا لطلبات الحكام وانخدعوا بما ساقوه إليهم من حجج فأفتوا برغبات الحكام لعدم خبرتهم بآثار القضايا محل النقاش ، ومعظمهم لم يكونوا منافقين للحكام فى ذلك بل كانوا بالفعل تحت تأثير حجة مصلحة البلاد التى دلس الحكام بها عليهم ولعل اكبر مصيبة عملية حدثت كمثال على هذا ، ما أفتى به بعض الفقهاء بالموافقة على أحداث قوضت القوة العربية وكانوا يحسبونها حلولا للمشكلات بينما هى مؤامرات غربية كاملة ، وأكتفي هنا بالإشارة فقط إليها دون تفاصيل منعا لتوريط الحوار فى الخلافات السياسية والعصبية المألوفة

قال الشاب: ولكن كيف كان الفقهاء سيعرفون عن المؤامرات شيئا وهى أمور لا تظهر فى حينها.

أجاب الكاتب:

أحسنت.. سؤال جميل وذكى فعلا، فكيف نحكم على أصحاب الحدث بما عرفناه نحن بعد وقوع الحدث ، ولكن مع الأسف الشديد أقول إن المؤامرة التى أقصدها ، كانت معروفة بل ومعلنة أيضا ومنشورة على مستوى العالم قبل التنفيذ بأكثر من ١٢ عاما كاملة ، فالرئيس الأمريكى نيكسون الذى عاصر حرب أكتوبر وذاق مرارة منع النفط عن بلاده ، لم يكن ليسمح بتكرار تلك التجربة ويدع البترول سلاحا يستخدمه العرب ضدهم كلهم كلما أرادوا .. ولأن الأمريكيين والإسرائيليين لا يكتفون بالبكاء على اللبن المسكوب ، ولأنهم ـ كما أعلنوا مرارا ـ يثقون فى أن العرب لا يقرءون ، وإن قرءوا فلا يفهمون ، وحتى إن فهموا فلا يتصرفون وفقا لنتائج هذا الفهم ، لهذا كله كان الأمريكيون يكتبون

تصوراتهم السياسية فى مذكراتهم وخططهم للمستقبل ونصائحهم للحكام المقبلين ، وينشرونها دون خوف، ولهذا فبمجرد خروج نيكسون من الرياسة كتب مذكراته بعنوان (نصر بلا حرب)، أو (الفرصة السانحة) وشرح التصور العام لخطته المستقبلية للسيطرة الأمريكية على المنطقة وتأمين منابع النفط بقوة ثابتة على الأرض العربية تمنع تلقائيا أى تفكير مستقبلي لاستخدام النفط كسلاح استراتيجى وتم نشر مذكرات نيكسون مترجمة للعربية فى معظم بلادنا منذ عام ١٩٨٥ م ، ورغم هذا تم تنفيذ الخطة بحذافيرها، بل إنهم أعادوا استخدامها مرتين بعد ذلك لتتم السيطرة التامة على المنطقة تقريبا، والمضحك أن المؤامرة ما كان لها أن تتم لولا دور حكام المنطقة فى تأييدها بل واستدعاء الأمريكيين والإلحاح فى طلبهم ومعاونتهم بكل السبل ، ثم كانت الطامة الكبري عندما تكفلت أموال البترول العربي بدفع تكاليف هذه الحروب مع تكاليف بقاء القوات الأمريكية فى المنطقة دون أن يتكلف الغرب سنتا واحدا !

قال الشاب: لا بأس ، فالإدراك والفهم هو نصف العلاج ، وحتما ستخرج أجيال جديدة تفهم واقعها ويفهمها .. ولكن هل هناك أمثلة لفتاوى أخرى حتى نتعلم طريقة تحليل الفتوى بالواقع ؟

أجاب الكاتب مؤيدا :

نعم ، فمثلا ، هناك من علماء الفقه من لا يعرف حتى الحد الأدنى من الثقافة السياسية المعاصرة ، ولا من التاريخ السياسي ، ولا وضع الأمة الإسلامية فى ظل سيطرة القوى العظمى على العالم ، بينما لو أنهم طالعوا بعض هذه الثقافة لما استهجن الناس آراءهم ، فمثلا أحد كبار العلماء من أصحاب الفضل قال أنه سجد لله شكرا يوم حدوث نكسة ٦٧ ، وأنا من الممكن أن أتفهم هذه المقولة لو برر هذا العالم مقولته بأن وقوع النكسة هو الذى نبّهنا لأخطائنا الفادحة سياسيا وعسكريا ولهذا أسرعنا بتصحيح هذه الأخطاء وحققنا نتيجة مبهرة فى ست سنوات فحسب عندما قامت حرب أكتوبر ..

لكن الذى لا أفهمه أن عالمنا الجليل برر مقولته بأنه لو كانت مصر انتصرت فى حرب ٦٧ ، لانتصرنا ونحن فى ركاب الشيوعية التى يمثلها الإتحاد السوفياتى فى ذلك الوقت ، وبالتالى فسنكون قد انتصرنا بدعم الملاحدة السوفيات لكن الهزيمة نبهتنا إلى هذا الخطأ !!

وفى الواقع أن هذا المبرر يثير الدهشة والتعجب ، لأن العالم فى ذلك الوقت كانت

تتقاسمه القوتين العظميين الإتحاد السوفياتى والولايات المتحدة ، وهذا واقع فعلى ينبغي التعايش معه شئنا أم أبينا ، ولم تكن الدول الصغيرة تستطيع تصنيع السلاح الملائم للعصر لفقر الإمكانيات ، وبالتالى فلابد من استيراد السلاح من إحدى هاتين الدولتين فضلا على الإستفادة من الدعم الدبلوماسي فى مواجهة الطرف الآخر وأمريكا فى ذلك الوقت كانت المتعهد الرسمى لإسرائيل وتمدها بأحدث أنواع السلاح ومن المستحيل أن يتم فك الإرتباط بينهما ، فضلا على أنها رفضت مساندة مصر فى النهوض الإقتصادى وبناء السد العالى ، فى نفس الوقت الذى قام فيه الإتحاد السوفياتى بدعم القضايا العربية على طول الخط ـ فالسياسة مصالح متبادلة ـ فوقف مع مصر فى حرب ٥٦ ، وهدد بضرب العواصم الغربية لو لم تنسحب قوات العدوان الثلاثي[٥١] ، فضلا على أنه أمدنا بالدعم المادى والتقنى لبناء السد العالى ، إلى جانب أنه تولى تسليح الجيش المصري والسورى والعراقي والجزائري للوقوف أمام إسرائيل التى تحظى بدعم أمريكى غير مسبوق ، وعندما وقعت النكسة ..

بادر الإتحاد السوفياتى بتعويض مصر عن سلاحها المدمر وأعاد تسليح الجيش من جديد تسليحا كاملا ، ولكن تم التسليح هذه المرة بتقنيات بالغة الحداثة ، وقام خبراؤهم بتدريب ضباطنا حتى قامت حرب أكتوبر وانتصرنا ، وأثناء الحرب عندما هدد كيسنجر مصر بضربها مباشرة إذا قامت بتصفية قوات الثغرة ـ كما انتوى السادات ـ اشترط السادات انسحاب القوات الإسرائيلية ومغادرتها دون شروط حتى يوقف قرار الهجوم ، وكانت مصر تعتمد هنا على وجود الإتحاد السوفياتى الذى يستطيع ضمان حصول مصر على الشرط الذى اشترطته ، ولو لم تكن الولايات المتحدة تعمل حسابا لتدخل القوات السوفياتية ، لما اهتمت بإنذار مصر أصلا ولضربتها مباشرة وتدخلت بأسطولها لتعيد الحال كما كان عليه ، وهذا هو ما حدث بعد ذلك مع العراق وأفغانستان عندما انهار الإتحاد السوفياتى وانفردت أمريكا بقمة العالم فتدخلت بجيوشها فى كل منطقة أرادتها ، وبعد هذا الشرح المبسط للوضع السياسي فى تلك الآونة يتضح لنا كيف أن المقياس التى اتبعه الشيخ هو مقياس بالغ السذاجة وبالتالى فالنتيجة المبنية واضحة التناقض والخطأ

(٥١) يعرف هذا التهديد فى التاريخ باسم (إنذار بولجانين) نسبة لوزير الخارجية السزفياتى بولجانين بذلك الوقت ، وقد كان التهديد حقيقيا وجديا وعندما استفسر الكاتب الكبير هيكل من أحد كبار المسئولين السوفيات عن هذا التحذير وهل كان السوفيات ينوون ذلك فعلا قال المسئول بأن السوفيات كانوا جادين بالفعل ولكنهم لم يكونوا ينتوون ضرب باريس ولندن ولكنهم كانوا سيضربون مدنا أخرى أقل أهمية.

ففي ضوء ما سبق شرحه يحق لنا أن نسأل الشيخ إذا كانت الهزيمة قد أتت بسبب التعاون مع الاتحاد السوفياتى ، فما الذى تغير فى انتصار أكتوبر وقد حاربنا بسلاحهم واستمرت العلاقات بيننا حتى انتهاء الحرب ، والنظام الإشتراكى الذى ظنه الشيخ نسخة مطابقة من العقيدة الشيوعية كان لا يزال قائما فى مصر أثناء الحرب ولم ينقلب النظام إلا فى عام ٧٥ ؟!

بالإضافة إلى أن المقياس الذى طرحه الشيخ يوجب علينا أن نسأل ما هو الحل البديل الذى يمكن أن تتتهجه مصر فى ذلك الوقت ، هل كانت تذهب إلى ركاب الولايات المتحدة العدو الأول للإسلام فى العصر الحديث ؟! فضلا على أنها الدولة التى قادت كل المذابح ضد بلاد العرب والمسلمين ، والنصير الأول لإسرائيل عدونا المتربص ؟!

أم كان الحل أن تقوم مصر بقطع علاقتها بالسوفيات والأمريكان معا وهى فى ذلك الوقت لا تملك إمكانيات تصنيع السلاح التى كانت حكرا على الدول الكبري ، وعلى فرض جدل أننا استطعنا تحقيق هذه المعجزة ، هل كانت إسرائيل ستنتظر مصر حتى يمكنها تصنيع سلاحها والذى نفترض أنه سيصلح لمجابهة السلاح الأمريكى المتقدم عند إسرائيل ، الأهم من هذا وذاك أننا لو عادينا القوتين العظميين فى نفس الوقت فسنكون كمن يشجعهم للتحالف علينا وإعادة احتلال مصر مرة ثانية وهى حديثة عهد بالإستقلال !

وليس فى رأى الشيخ بالطبع أى مستند سياسي أو حتى من الشريعة لهذا القول ، لأن النبي عليه السلام فى زمن استضعافه لم يشمر عن ساعد الحرب مباشرة ، بل تأجل ذلك حتى اكتملت الاستعدادات وتم بناء الدولة ، وكان فى الفترة الأولى فى مكة يلجأ للتحالف مع بعض مشركى قريش ممن لا يكنون العداء المستحكم للمسلمين ، وقد لجأ إلى النجاشي ملك الحبشة عندما علم بتسامحه معهم ، فلما استوى الإسلام مستقرا فى المدينة نسخ هذه الرخصة ومنعها وحرم التعاون أو قبول العون من غير المسلمين ما دامت لديهم الدولة القادرة ، فالقاعدة أنك عندما تكون مضطرا لحقائق الواقع فإنك تلجأ إلى الحل الذى يكفيك المئونة بأقل الخسائر ، وهذا ما فعلناه ، فالعرب هم من حاربوا بأيديهم بمعاونة حلفائهم والمعادين لعدوهم ، فالشيخ هنا لغياب الرؤية السياسية الواقعية خلط ما بين الحكم الفقهى المثالى ، وبين النظرة الموضوعية المبنية على الواقع ، هذا فضلا على عدم إدراكه لطبيعة العلاقات بين الدول والتى لا تقوم إلا على أساس المصلحة المطلقة

وليس على معانى التحالف الفكرى أو الحب المتبادل وعبد الناصر عندما تحالف مع السوفيات لم يفعل ذلك لغرامه بالشيوعية ، بل على العكس لقد بدأ اتصالاته بالجانب الأمريكى لتمويل مصر بالسلاح اللازم بعد غارة إسرائيل على غزة والتى استغلت فيها إسرائيل أن الجيش المصري كان بلا أنياب ونظام الحكم بعد رحيل الإنجليز لا زال نظاما فى المهد ، ورفضت الولايات المتحدة والدول الغربية تزويد مصر بما تحتاج فى نفس الوقت الذى فتح فيه الإتحاد السوفياتى الخيار البديل ، وحافظ عبد الناصر على استقلاله فى هذه العلاقة ، فرفض نهائيا مبدأ وجود قواعد عسكرية سوفيتية فى أرض مصر، رغم أن الإتحاد السوفياتى وأمريكا يستخدمون أراضي حلفائهم بعشرات القواعد العسكرية ، ثم رفض عبد الناصر أن يتلقي العسكريون المصريون المتدربون فى الإتحاد السوفياتى أية مناهج فكرية شيوعية ، بل إن الحركة الشيوعية المصرية التى انتشرت فى ذلك الوقت بمصر كانت تتلقي الضربات والتضييق الأمنى العنيف والإعتقالات المتكررة من نظام عبد الناصر الذى أنشأ وحدة فى جهاز مباحث الأمن العام مختصة بمطاردة النشاط الشيوعى برياسة العقيد حسن المصيلحى ، رغم أنه كان حليفا للدولة الشيوعية الأم ، وقد تقبّل الإتحاد السوفياتى هذا التحالف المشروط من مصر والهند ويوغسلافيا والدول الإفريقية التى شكل منها عبد الناصر قوى عدم الإنحياز التى كانت تتصدى لمخططات الغرب ،ولكن كل هذه الإنجازات ضاعت عندما أعلن السادات تغيير بوصلة التوجه المصري إلى التحالف الأمريكى الحذر مستغلا ضغط نتائج حرب أكتوبر والذى قلبه مبارك ليصبح تحالفا شاملا لغرامه بالأمريكيين ! ، ورغم هذا فلم يعترض الشيخ على هذا التوجه الجديد بل ناصر نظام السادات وقَبِل أن يكون وزيرا فى حكومته ، فإن كان يؤمن بمبررات الأمر الواقع فى تلك السياسة فلماذا لم يعالج الأمر بنفس الطريقة مع السوفيات ..؟!

وما الذى يتميز به الأمريكيون عن السوفيات فى وجهة نظره من ناحية الدين ، فالسوفيات ملاحدة بلا شك ، ولكن هل الأمريكان من بقية الصحابة والتابعين مثلا !

هذا بالإضافة إلى أن المقياس الدينى نفسه الذى اتبعه الشيخ يُلزمه كفقيه بتشجيع التحالف مع السوفيات ولو كانوا من عبدة البقر، لأن الخلاف العقائدى معهم ليس مقترنا بعداوة حربية ضد العرب من ناحية الدين والسياسة فهم لم يعتدوا علينا فى شيئ بل هم حلفاء بمعنى الكلمة ، بينما ملاحدة الأمريكيين والغرب لم يكتفوا بأنهم أصل الكفر

والبطش والدموية فى العالم كله، بل زادوا على ذلك تاريخ وحاضر عريض فى الكيد للإسلام فكريا ، والفتك بالمسلمين حربيا واحتلوا أراضينا احتلالا عسكريا واقتصاديا وزرعوا وكيلهم الإسرائيلي فى المنطقة فضلا على دعم كافة أنواع التطرف التى ترد المسلمين عن دينهم وتمسخ صورة الإسلام فى العالم وبالتالى فلا مجال للمقارنة أساسا بين موقف السوفيات وموقف الأمريكيين من العرب والمسلمين لكن كما سبق أن قلت لك ، غياب الثقافة السياسية يجعل الفقيه فى جزيرة منعزلة عن واقع مجتمعه وظروفه ، ومسألة تغيير التحالفات أو مبدأ التحالف ذاته حتى مع بعض الأعداء هى من السياسة الشرعية الأصيلة فلم يكن النبي عليه السلام يجمع عليه عدوين فى وقت واحد أبدا ، بل كان يحارب عدوا ويحالف الآخر إلى أن تتغير البوصلة وهكذا .. فقد تحالف مع اليهود بعهد أمان فى المدينة حتى يتفرغ لقريش ، ثم تفرغ لليهود عند مهادنة قريش ، وهذه هى طبيعة فقه الواقع التى تتغير بتغير المستجدات لكن مع الحفاظ على ثوابت العقيدة والأصول ..

ومثال آخر بالغ الخطورة يوضح كيف يمكن أن يقع العالم فى كارثة لو أهمل إدراك ثقافة الواقع أو اكتفي ببعض النصوص معزولا عن بقيتها ، فهذا لا يؤدى به فقط للخروج على مفاهيم عصره ، بل يؤدى به للخروج حتى على ثقافة السلف ومقصود مصطلحاتهم ويمهد الأرض ـ سواء أراد أو لم يرد ـ لكى يأتى كل أعداء الدين ويستغلون الفرصة كعادتهم للترويج للعلمانية ..

فأحد العلماء المنتسبين للتيارات السلفية أفتى فى أحد كتبه بأن الشهادة فى سبيل الله ، لا تتضمن الشهيد فى سبيل الوطن !! ،

واستند فى ذلك إلى نص حديث النبي عليه السلام فى أنه من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فهو فى سبيل الله ، ففهم منها أن الشهادة تكون فقط فى جهاد الدفاع عن العقيدة أو تيسير نشرها بين الناس وهذا فهم غريب وعجيب وشديد القصور عن بديهيات العقل فضلا عن صريح النصوص ونقول نعم الشهادة فى سبيل الله ونشر دينه هى أعلى الدرجات فى مراتب الشهادة ، لأن الشهادة ليست على مرتبة واحدة ، فبنص الحديث هناك الشهادة فى سبيل الدفاع عن حق النفس والعرض والمال ، فالمسلم إذا قُـتل دون عرضه ونفسه وحتى ماله فهو شهيد رغم أنه لا يدافع عن العقيدة هنا ولا يسعى لنشر الإسلام ، ومن أراد قتله قصد إلى ماله أو أهله ولم يقصد دينه بل ربما كان

قاتله أصلا من المسلمين ، ومع ذلك فالقتيل شهيد ، فما بالك بمن يُقتل من المسلمين وهو لا يدافع عن شيئ يخصه مباشرة كالنفس والعرض والمال ، بل يدافع عن مجمل وطنه وأرض بلاده وعوام الناس من خلفه ، كيف لا يعتبره الشرع شهيدا وهو خارج فى سبيل الدفاع عن سائر المسلمين فى وطنه ـ أى بلا أى غرض شخصي مباشر ـ وبالتالى فهو خروج لله وفى سبيله ؟!

وهذه الدرجات كلها هى فروع للجهاد فى سبيل الله ، وكلها تعتبر قتالا فى سبيل الله ، لأن أصل الشهادة هى الموت فى سبيل تحقيق مقصود الشرع الإلهى ، وتحقيق مصالح عباده ، حتى لو كان هذا الموت نتيجة لكلمة حق يقولها المسلم بغض النظر عن القضية التى قيلت فيها ..

فقد نص حديث النبي عليه الصلاة والسلام على أن (سيد الشهداء حمزة ، ورجلٌ قام إلى حاكم ظالم فأمره ونهاه فقتله)

أى أن هذا الحديث الشريف جعل كلمة الحق فى وجه سلطان جائر تجعل صاحبها سيدا للشهداء يوم القيامة ، وهذه الكلمة قد يقولها المسلم فى وجه حاكم مسلم أيضا لكنه ظالم ، وقد يقولها المسلم لمناصرة حق مظلوم سلبه هذا السلطان ببطشه ، أى أنها كلمة حق فى قضية دنيوية بحتة ، ولكن لأن قائلها قد جهر بها دفاعا عن مظلوم ، وفى وجه ظالم دون خشية الموت ، فقد جعله الله سيدا للشهداء وفى مرتبة حمزة رضي الله عنه ، وإن كانوا جميعا شهداء عند الله ومن أصحاب الفضل ..

فالشهادة فى سبيل الله هى كل شهادة ينالها المسلم وهو يدافع فى سبيل الحق الذى ارتضاه الله لعباده ، بغض النظر عن طبيعة هذا الحق هل هو الدفاع عن نشر الدين ، أو الدفاع لحفظ النفس أو الدفاع لحفظ أى مقصد من مقاصد الشريعة ..

الأمر الأهم أننا لو حصرنا مفهوم الشهادة فى سبيل نشر الدين أو الدفاع عنه فقط ، لما كان للدفاع عن أرض الوطن وأراضي المسلمين أى اعتبار !!، فما الذى يجعلنى كمسلم أورط نفسي فى قتال قد أموت فيه دون أن يحفزنى جزاء الآخرة على ذلك ، وهذا ما لم يقل به أحد من علماء السلف ، بل صنفوا الأبواب فى أن الجهاد يصبح فرضا عينيا ـ وليس كفائيا ـ إذا ديس شبر من أراضي المسلمين .. أى أنهم جعلوا الدفاع عن الأرض والوطن هنا من أعلى مراتب الجهاد حال احتلال العدو لأرض المسلمين ، لأنهم جعلوا التكليف هنا لكل مسلم ولا يسقط عن بعض المسلمين بقيام البعض الآخر به ، بل يلزم

للكل أن يجاهد بشتى أنواع الجهاد لا القتال وحده ، وهذا يوضح لك قيمة أرض المسلمين فى الدين لأنها الأساس الذى يجعل للمسلمين شوكة ودولة وقوة وهذا معناه أن الحرب هنا قد تكون حربا لا علاقة لها بالعقيدة أصلا ، كأن يهاجم العدو بلاد المسلمين بغرض احتلال الأرض واستهداف ثرواتها لا بهدف فتنة المسلمين عن دينهم بل إن لازم هذا القول الفاسد يُفضي إلى ما هو أكثر خطورة ، فليس فقط يثبط المسلمين فى الدفاع عن أراضيهم وأوطانهم ، إذا لم يقصد عدوهم إلا احتلال الأرض وخيراتها وثرواتها ، بل إنه ينشر لافتراء القوى على الضعيف ، فلو كان المدافعون عن أوطانهم ليسوا خارجين فى سبيل الله ، لكان معنى هذا أن من يقع قتيلا فى مواجهة اعتداء على وطنه من مسلمين بغاة ليس شهيدا لأنه ليس قتيلا فى معركة حق !

وهذا ينافي حتى القرآن، فالله عز وجل يقول (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغي ...) أى أن هناك من المؤمنين من قد يتورطوا فى قتال بعضهم البعض بسبب البغي، وساعتها علينا الإصلاح بينهما فإن أبي البغاة أن يرجعوا فالله أمرنا بقتالهم ، إذا هى معركة فى سبيل الله وفى الحق ، وقتيلها شهيد فهذا الفهم المغلوط لحصر الشهادة فقط فى معارك العقيدة ، استدلال خاطئ نظرا لأن هذا القائل نظر إلى المعنى الحرفي لعبارة (فى سبيل الله) وحصرها فقط فى معانى القتال لنشر عقيدة الإسلام أو الدفاع عن عقيدة الإسلام إذا حاربنا عليها العدو، وكأن القتال فى سبيل حفظ نفوس المسلمين وما يخصهم ليس داخلا فى مفهوم سبيل الله ، رغم أن حرمة دم المسلم أكبر وأعظم من حرمة الكعبة المشرفة وفق نص الحديث الشريف فكل مقاتل مسلم فى سبيل معركة حق إذا سقط .. سقط شهيدا وفقا للمفهوم العام لدرجة الشهادة ،

قال الشاب: ما معنى المفهوم العام للشهادة ؟!

قال الكاتب :

المقصود أن العقيدة الإسلامية تمنع المسلمين من وصف المعيّن ـ أى شخص محدد بعينه ـ لا بالشهادة ولا حتى بالكفر ، إلا بشروط معينة ، ففي الكفر ـ إن لم يكن كفرا بواحا ـ فلا يمكن الحكم به على شخص معين إلا بعد تحقق شروط وانتفاء موانع ، والحاكم هنا ينبغي أن يكون من أهل العلم أو القضاء حتى يقرر ذلك فليس هذا الحكم لأحد لأن التكفير هو حق الله لا حق العباد ، ولكنك كمسلم تستطيع فقط أن تحاكم الأفعال ـ لا

الأشخاص ـ بأنها أفعال كفرية ، وذلك وفقا لأوصاف الكفر المحددة فى الشرع ، ولا يجوز الشهادة بالكفر لمُعينّ أو بأنه فى النار إلا لمن جاء النص عليه فى القرآن والسنة كذلك مرتبة الشهادة أو الإيمان أو دخول الجنة فلا يجوز الحكم بهم لمعين إلا لمن جاء نص صريح عليه فى ذلك كالصحابة مثلا ، ولكن يمكننا فقط أن نطلق لفظ الشهادة على عموم من يقاتل ويقتل فى سبيل الله ولا نشهد لأحد منهم خاصة بالشهادة ـ إلا على سبيل الدعاء فنقول نحسبه شهيدا والله حسيبه ـ لأننا لا نعرف حقيقة نيته التى يعلمها الله عز وجل وحده ، فهناك من قاتل مع النبي عليه السلام ومات وأبلغ النبي عليه السلام بأنه فى النار، فتعجب الصحابة ثم عرفوا بعد ذلك أن هذا المقاتل أوجعته إصاباته وجروحه فلم يحتملها فقتل نفسه.

قال الشاب: ولكن ما سبب ظهور القول بأن الدفاع عن الأوطان ليس فيه شهادة، بل ما هو سبب أمثال تلك الفتاوى أصلا؟!

قال الكاتب:

هناك أسباب كثيرة ومن أهمها..

أولا: ان هذه الأقوال جاءت مما يسمى بالحركات الإسلامية أو الإسلام السياسي، وكافة هذه الحركات بلا استثناء ـ علم أصحابها أم جهلوا ـ كانوا مخترقين من أجهزة الإستعمار التى مارست عليهم اللعبة السابق شرحها فى الفصل الأول ، وبالتالى جاءت فتاوى الفصل بين الدين والأوطان فى مصلحة ممولهم وفى مصلحة منابع الفساد فى الإحتلال الإنجليزى وغيره[٥٢] وتم ابتكار هذا الفصل عن طريق التركيز أن القتال فى سبيل الله معناه القتال فى سبيل نشر الدعوة فقط !

ثانيا: مشكلة تاريخية عميقة الجذور كانت هى السبب الرئيسي فى ظهور التفرق وشذوذ الفتاوى، ألا وهى المشكلة التاريخية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ففي العصور الإسلامية الأولى عندما نشأت المذاهب الفقهية ، لم يكن هناك إشكاليات فى التخصص نظرا لأن العقليات والقدرات كانت كبيرة والنوازل قليلة وشبه معدومة لا تحتاج الدقة فى التخصص، وهذه طبيعة العصور الأولى فى أى علم حيث تكون درجة استيعابهم لكافة التخصصات أمرا عاديا، وبالتالى كان علماء الشريعة يحيطون علما بمختلف أنواع العلوم من الفقه والحديث والتفسير واللغة، وما ساعدهم على ذاك قرب عهدهم بالعهد النبوى

(٥٢) حول هذه العلاقة يرجى مراجعة (التاريخ السري لعلاقة بريطانيا مع الأصوليين) ـ مارك كورتيز ـ مصدر سابق.

فهم شبه تلقوا العلم عن مصدره الأصلي، وعندما تكونت المذاهب كان فقهاء المذاهب الفقهية جميعا محدّثُون ـ أى علماء حديث ـ وفى نفس الوقت علماء فقه وفتاوى ـ فيما عدا أبو حنيفة إمام مدرسة الرأى اهتم بالفقه والعقيدة فقط ـ ولهذا فمالك والشافعى وأحمد والجيل السابق عليهم كانوا يروون الأحاديث ويصنفون فيها ويكتبون الفقه ويتدارسونه..

وعندما امتد الزمان وجاءت عصور الضعف والتفرق ، وكعادة أى مجال علمى، تفرعت علوم الشريعة إلى الفروع الرئيسية العقيدة والفقه والحديث والتفسير واللغة والتاريخ ، ثم تفرعت الفروع الرئيسية إلى فروع أصغر وأدق تخصصا وهكذا دواليك ..

ونظرا لاتساع مدارك علوم الفقه فقد تخصص فيها علماء بعينهم ، ونظرا لأن علم الحديث صارت له قرابة الفروع الستة ، فقد تخصص فيه أيضا علماء آخرون ، ثم قامت القيامة بين الفريقين لأن كل منهما أحب أن يتدخل فى مجال الآخر ، فبدأ الفقهاء يفتون الناس استنادا إلى الأحاديث التى يحكمون هم فيها بالصحة والضعف متجاهلين أن هذا المجال له متخصصون هم أقدر عليه وهم من قاموا بجهد ضبط الأحاديث وحكموا عليها وبينوا أحوال رواتها ووضعوا القواعد لذلك العلم الجليل، ورد علماء الحديث بأنهم تدخلوا فى الشأن الفقهى دون أن يراعوا أن مجال الفقه يلزم له الإحاطة التامة بأصول الفقه ، والنظريات الفقهية العامة ، وترتيب الأدلة ، وكلها علوم تقتضي التخصص لأن مهمة الإفتاء تقوم على تحقيق مصالح الشريعة وليس على مجرد العلم بالنصوص دون معرفة كيفية تنزليها على الواقع ، ودون مراعاة اختلاف الأحكام باختلاف الأحوال ..

وهكذا كان العلماء المتأخرون فى عصر الجمود والتعصب مختلفين تماما عن العصور الأولى التى شهدت التكامل بين العلماء لفائدة الأمة، واستمر هذا الصراع حتى ورثته الأجيال المعاصرة لكن برؤية مختلفة،

سأل الشاب : هل تعنى أن الصراع بين أهل الفقه وأهل الحديث توقف فى عصرنا ؟!

أكمل الكاتب: كلا ، بل تجدد ، ولكنه بدوافع سياسية ودوافع عقائدية أو فقهية ، ولم يكن منهجا كاملا للتضاد ، بل هو للأسف تعصب سياسي أو دوافع شخصية فى الحب والكره ، من بعض المنتسبين للجانبين وكانت البداية عندما قامت المدرسة السلفية ـ التى ورثت أهل الحديث ـ وعند ظهورها كانت هناك مؤسسة الأزهر العريقة وتكاملت المدرستان وعندما انتشرت البدع والخرافات والفلسفيات على يد الصوفية وفرق الشيعة والعصرانيين وغيرهم ، ظهرت المدرسة السلفية الحديثة التى رفضت كل هذه البدع ،

وعملت على تنقية ثقافة الناس فى العقيدة والتاريخ والحديث ، وهو انجاز كبير تحقق على يد الرعيل الأول منهم فى الجزيرة العربية ، وفى نفس الوقت كان الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين قائم على العقيدة السلفية أيضا ، وهذا لا ينفي وجود المنهج الأشعري ، وهكذا تكاملت المدرستان بالفعل ورحل كثير من علماء الأزهر للعمل فى تدريس علوم الشريعة فى الجزيرة ، وكان الشيخ الأزهرى محمد الأمين الشنقيطى من مؤسسي وشيوخ كبار علماء السلفية فيما بعد والشيخ محمد شاكر وأحمد شاكر وغيرهم كثير ولم يكن هناك خلاف بين المدرستين يمكن ملاحظته ، إلا وجود المنهج الأشعرى ضمن مناهج الأزهر الذى كان يُدّرس مناهج كافة علماء أهل السنة ، بينما فضلت المدرسة السلفية عقيدة أهل الحديث وركزت على فقه الإمام احمد بن حنبل نظرا لأن الجزيرة العربية عانت كثيرا جدا قبل السلفيين من داء التعصب للمذاهب الأربعة ، ومن خرافات الصوفية وانتشار بدعهم فى ذلك الوقت وظلت الأمور كذلك حتى ظهرت الأجيال الجديدة من المنتسبين للمدرسة السلفية فى مصر فى السبعينات ، ولم يكن هؤلاء على درجة رسوخ شيوخهم ، ومع بداية التسعينات ظهرت فتاوى السلفيين ولم تقتصر على المجال الذي تخصصوا فيه ، فذهبوا إلى إفتاء الناس ونشر المظاهر المعينة على أتباعهم ، دون الاهتمام بالدراسة الجادة لأصول الفقه ، وكان معظمهم من الشباب المتحمسين الذين لم يدرسوا تخصصات الشريعة من قبل وهذا بالطبع يخالف ما كان عليه الرعيل الأول من المدرسة السلفية بالحجاز وفى غير أرض الحجاز ، وهكذا ابتكر السلفيون فى مصر طريقة التلقين السريع للمتون على عوام أتباعهم وبعدها كانوا يصعدون إلى المنبر مباشرة ، وطاح سلفيو مصر يمينا وشمالا وجعلوا من الدعوة معركة هجوم لا تألف لقلوب الناس ، وكل هذا بسبب قلة الفقه، ويكفيك لتدرك المصيبة التى تسببوا فيها وسبب غريب فتاواهم أن أحد أشهر رموزهم صاحب أعلى نسبة تكفير للمسلمين ، يروى دائما فى سيرته الذاتية أنه بدأ التزامه عام ٦٩ ، وصعد المنبر عام ٧٠ !!

وهذه مصيبة كبري لكل من يدرك منهج الدراسة لعلوم الشريعة حتى ولو كانت الدراسة لفرع واحد فقط، حيث يقضي الدارس فى الأزهر قرابة ربع قرن قبل أن يتصدى للخطابة أو الإفتاء ، وحتى فى المنهج السلفي الأصلي فى الجزيرة لا تقل سنوات الدراسة عن ذلك سواء فى حلقات الدروس أو فى الجامعات ، فكيف يقضي هذا الداعية عاما واحدا ثم يصعد المنبر ويطلق لسانه بما شاء !

وبالطبع كانت النتيجة ما رأيناه من أقواله وأفعاله بعد ذلك ..

فليت أنه اكتفي فقط بإفتاء الناس فى مختلف الأمور كبيرها وصغيرها وحتى النوازل بل ذهب إلى أطم من هذا فقام بتكفير كل من ليس على منهجه ، فأفتى بكفر كل من قال أنه علمانى أو ليبرالى أو حداثي ، ثم زادت الطامة عندما أفتى بجواز قتل معارضي حكم الإخوان الخارجين فى المظاهرات !! ، ثم قام بتكفير كل من خرج فى مظاهرات ثورة يونيو التى أطاحت بالإخوان ،وكل من يؤيدها أو يؤيد الحكومة المصرية ، ورئيسها !

ويكفي لتعرف المدى الذى وصل إليه أن تدرك أن الحكم بتكفير المعين المسلم الواحد ، له ضوابط فى الشريعة الإسلامية يجب ان تتوافر مجتمعة كلها فى نفس الشخص ، فالقول نحكم عليه بالكفر إن كان كذلك ، أما الشخص فلا وحتى لو توافرت فيه شروط التكفير جميعا ، فالذى يحكم بكفره وردته هو ـ كما نص العلماء ومنهم الشوكانى ـ العالم الراسخ فى العلم ، أى أنه لا يكفي للفقيه العادى الحكم بذلك ، بل لابد من الرسوخ العلمى وليس هذا فقط بل يلزم مناقشة القائل أو الفاعل للعمل الكفري والتيقن من أنه ليس متأولا ـ أى لا يظن انه قد ارتكب كفرا ـ أو مكروها ، حتى لو كان ما ارتكبه هو كفر بواح أى واضح كالشمس والعلماء يقولون لو أن المسلم تلفظ بقول يمكن تفسيره من مائة وجه على أنه كفر محض ، وبقي فقط وجه واحد يحتمل الإيمان ، وجب حمله على الإيمان حتى يتضح العكس ، ولاحظ أننى أتكلم عن ضوابط تكفير المسلم العادى !

سأل الشاب: ماذا تعنى ؟!

قال الكاتب:

أى لا يوجد شيئ فى الشريعة اسمه التكفير الجماعى ـ كما فعل هذا السفيه فكفّر الملايين ـ بل لابد من تطبيق الضوابط والشروط ، بالإضافة إلى أن تكفير الحكام له ضوابط خاصة تضاف إلى كل ما سبق ، وهى ما نص عليه الفقهاء من أن الحكم فى تلك المسألة يكون لخواص أهل العلم ، وليس حتى عالما واحدا من الكبار ، نظرا لأن ما يترتب على هذا الحكم أكبر كثيرا من مسالة كفر شخص واحد ، ونفس هذه الضوابط تقريبا يحكم بها العلماء فى مسائل الدماء ، لأنها من عواظم الأمور فى الشريعة ويتم تفاديها بكل وسيلة ممكنة ، فقارن كل هذا بما فعله هذا الرجل الذى لا علاقة له بالفقه من الأصل ، ومن أعجب عجائبه أنه يفتخر مرات وكرات بالدكتوراة التى حصل عليها ، وهذه الدكتوراة ـ لو كانت فى أصول الفقه ـ ما أجازت له ما يفتى به ، فما بالك وهى فى

دراسات السياسات الشرعية ، وتاريخ السيرة النبوية !!

ولم تقتصر المهزلة على هذا ، بل النكتة الحقيقية أنه حصل عليها من أمريكا ! ، أى من جامعات الغرب ، أى من منابع المستشرقين ؟!

قال الشاب : أليست جامعات الغرب بها دراسات عن الإسلام والعربية ؟!

أجاب الكاتب :

نعم طبعا بها أكبر الجامعات والمعاهد المتخصصة فى ذلك ، لكن هل يدرسون الشريعة الإسلامية من منطلق أنها رسالة سماوية ؟!!

وهل علماؤهم يمكن أن نعتبرهم علماء فقه لنا ، فضلا على أن يُجيزوا لنا الفقهاء ويعلموهم ؟! ،

بمعنى هل يجوز لمتخرج من إحدى جامعات الغرب الإستشراقي أن يتقدم للإفتاء فى أمور المسلمين ؟!

هذه نكتة والله !

لأن الدراسة هناك كما قلت لك دراسة فلسفية محضة تقوم على فكر الإستشراق خارج نطاق الإيمان بهذه الأفكار تماما ، وبالتالى الدارس فى تلك الجامعات لا يمكن اعتباره دارسا لعلوم الشريعة يجوز له الفتوى كما هو الحال مع جامعات العلوم الدينية ف العالم الإسلامى.

قال الشاب: ولكن هذا تناقض غريب ومريب بين أقوالهم وأفعالهم ، وقد سمعت كثيرا من فتاواهم العنيفة ضد الغرب وتكفيرهم للناس على أى تعاملات معهم.

أجاب الكاتب:

التناقض كاد أن يكون دينا للسلفية السياسية فى مصر وللإخوان ، وهذا الذى يكفر كل الناس وأفتى بكفر العلمانيين بعموم وكافة معارضيه وأفتى بكفر الديمقراطية وآلياتها هو من ناصر الإخوان ومرسي وقد جاءوا بانتخابات ديمقراطية نزيهة كما يرددون دوما ، وعاش فى قطر وقطر لا تطبق الشريعة وعلى أرضها اكبر القواعد الأمريكية ومع ذلك قال عنها أنها بلده الأول ، ثم ذهب الى تركيا منافحا لها محرضا ضد مصر وتركيا علمانية صرفة بنص الدستور ، وبإعلان صريح من اردوغان وصور أتاتورك الذى اسقط الخلافة تملأ كل ركن هناك حتى الفندق الذى يقيم به هذا المكفراتى ، والجيش التركى له تعاون استراتيجى كامل مع الجيش الإسرائيلي وبينهما مناورات مشتركة ، فضلا على الطامة الأعظم ..

أن تركيا عضو ف حلف الناتو ، وهذه وحدها تكفي لإخراجها من معادلة القوة الإسلامية على طول الخط ، فعضوية الناتو تعنى ببساطة أنها لا تملك لنفسها رأيا فى الحرب والسلم يتعارض مع أهداف الحلف الغربي بزعامة الولايات المتحدة.

فأين هذا الشخص من تكفير نظام أردوغان وهو أكبر المسئولين الأتراك تعاونا مع الولايات المتحدة ومرسي وجماعته تاجروا بمقولة (الإسلام هو الحل) فلما وصلوا للحكم قال مرسي أن الشريعة مطبقة فعليا فى مصر وزاد قائلا أن الحدود أحكام فقهية (أى أنها فقه يجوز تغييره) ثم قال نفس ما قاله العلمانيون إن عقيدة المسلمين والنصاري فى مصر ليس بينها خلاف عقائدى بل خلاف آليات ووسائل ! ، وغازل إسرائيل فى خطابه الشهير لبيريز ، ومع هذا يتعاملون معه كأنه عمر بن عبد العزيز ويكفروننا نحن !

ومعظم متبعى التيارات الإسلامية بل وبعض قياداتها ، حاصل على جنسيات تلك الدول وتعلم فيها ، بل وذهبوا إليها طلبا للدعم السياسي بل أكبر رءوس الخوارج من الجماعات الإرهابية يقيم فى لندن منذ الثمانينات وحاصل على الإقامة فيها وعلى حق اللجوء السياسي ويصدر إرهابه لبلادنا من هناك ! ، فصدق فيهم وصف العلماء للخوارج قديما (يتركون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإيمان) أما الإخوان ، فحدث ولا حرج ، الأطفال فى مصر يعرفون عمق علاقتهم بالولايات المتحدة التى صدعوا رءوسنا ستين عاما بعدوانها !! ، ويقفون صفا واحد معها حتى فى عدائها لمصر بعد عزل الإخوان ويحج سفراؤهم للبيت الأبيض ويدلون بتصريحات يندى لها الجبين ويحرضون من بلاد التحالف الغربي ضد مصر ويفتون الشباب بقتل خصومهم والتصدى للجيش والشرطة ويكتفون هم بالبقاء مع باقي القيادات حيث نعيم التحالفات وهذا مألوف ومعتاد من قادة الإخوان عبر تاريخهم وهو التخلى عن سائر أنصارهم إذا قامت أى معركة بينهم وبين الدولة وقديما قال حسن البنا عن الإخوان الذين قتلوا خصومه بأوامره أنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين !!!

أما سلفيو السياسة والفضائيات فى مصر فدخولهم للسياسة بعد الثورة جعلنا نشهد منهم الأعاجيب فالكارثة جاءت من أن الغالبية ـ وليس الجميع ـ من متبعي السلفية فى مصر ظنوا الالتزام وقراءة بعض المتون يكفي لجعلهم علماء ، كما أن التحزب فيما بينهم دفعهم لمناصرة بعضهم البعض بالحق وبالباطل ، وللأسف الشديد سار على دربهم بعض شباب أجيالنا على الانترنت ممن يستهويهم العلم ولكنهم لا يقوون على الصبر عليه ،

فظنوا أن قدرتهم على الرد على الشبهات وقراءتهم فى العقيدة وعلم الحديث تجعلهم أيضا قادرين على الفتوى والحكم على العلماء !

مع أنهم لو اكتفوا بمرتبة ـ الباحث وطالب العلم ـ وهى المرتبة التى نحتاجها منهم للرد على الشبهات لقاموا بواجبهم خير قيام دون إثارة المشكلات فى التعصب للآراء

ومنذ عدة سنوات شاهدت على الانترنت إعلانا فى احد المنتديات السلفية عن دورة علمية فى الفقه مدتها أسبوع واحد ، ويقول الإعلان (نحن نؤهلك لتصبح فقيها فى أسبوع) !!

فقارن هذا الكلام بما قاله بعض علماء الأزهر القدامى ممن تعلموا بطريقة (شيخ العمود) ، حيث شرحوا تجربتهم فى أنهم كانوا يدرسون كتاب (المغنى فى الفقه) لابن قدامه الحنبلي وهو أشهر متون فقه المذهب ، فى مدة أربعين عاما كاملة ، والسبب أنهم لم يفتحوا المغنى إلا بعد أن استكملوا حفظ القرآن وأحاديث الأحكام ومتون اللغة والنحو والصرف ومتون أصول الفقه ثم يبادرون لفقه المذاهب كى يتأهلوا للفتوى بعد أربعين عاما بشهادة العالمية !!

وبعدها تعرض السلفيون فى مصر لبعض علماء الأزهر بالغمز واللمز وخلطوا بين شيوخ المؤسسة الرسمية الذين حكمتهم السياسة ، وبين سائر علماء الأزهر من المستقلين فقام العلماء بالتحذير منهم ومواجهتهم بعنف القول ، فزاد السلفيون من حرارة الخصومة واستنصروا ببعض دعاة السلفية خارج مصر ، ليستدعوا من بطون التاريخ الخلاف الشهير بين أهل الحديث والأشاعرة ، وتورط للأسف بعض كبار الدعاة من الجانبين فى المعركة التى افتعلها الصغار ، وكان التعميم والافتراء هو ميزة الصراع فالسلفيون بدّعوا الأشاعرة ، والأشاعرة اتهموهم بانغلاق الفكر وتكفير الناس ، وبالطبع ككل معركة تكون الافتراءات هى سيدة الموقف، وبمطالعة مؤلفات الجانبين نجد أن تَسقُّط الأخطاء بينهما كان سببا فى انتشار الاتهامات ، فالسلفيون يصفون الأفعال بوصف البدعة والشرك ، ولكنهم ـ طبقا لمنهج أهل السنة ـ لا يحكمون بالكفر على المعين ، فضلا على التكفير العام ، وهو الاتهام الذى انتشر عنهم ، بسبب حماقات عوام منتسبيهم كذلك فليس الأزهر بعمومه على معتقد الأشاعرة أو من الصوفية ، بل منهم رموز سلفية كبيرة ، وحتى الأشاعرة المعاصرون يختلفون بالطبع عن غلاة الأشاعرة الذين يقصدهم السلفيون بالنقد بينما وقفت غالبية الطرفين من العلماء الكبار موقفا

يليق بهم فرفضوا هذه المهزلة ، وما أقوله لك من انتقادات ضد المتصارعين صادرة أصلا عن علماء السلفية والأزهر الرافضين للحرب المفتعلة ، خاصة أن الإمام ابن تيمية رأس مراجع السلفيين ، وهو شيخ الإسلام ، قال عن الأشاعرة بانهم يمثلون أهل السنة فى البلد الذى ليس فيه أهل سنة ، وبالمقابل فالأزهر ترجم لشيخ الإسلام ضمن مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مجلدا ضخما فيه الكثير من حياته وفقهه ، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة أحد كبار علماء الأزهر كتب فيه كتابا فيه تلخيص شامل لحياته وفقهه وجهاده وأيضا رد الشبهات التى أثارها خصومه ضده منذ زمانه وحتى اليوم والحقيقة أن أكبر مظلوم ظلمه سلفيو مصر هو شيخ الإسلام وهكذا ..

بدلا من أن يتكامل المتصارعان ويتكاتفا لصالح محاربة الفرق البدعية التى عاد انتشارها من جديد ، دخلوا فى صراعات مع بعضهم البعض ، وخسر كل منهم ما عند الآخر من منهج صحيح ، فخسر الاتجاه الأشعري ثقل ورسوخ المدرسة السلفية فى نقل ونقد الحديث والتاريخ ، وخسر السلفيون مقومات وعمق أصول الفقه و فقه الواقع وفقه الأولويات مع أن عوامل الاتفاق بين الجانبين أقوى ، وأهمها اتفاقهم على مواجهة الفكر الرافضي وفكر الخوارج وكان من نتيجة ذلك أن رفض كل اتجاه ما عند الآخر من علم ، فتجاوز بعض علماء الأزهر فى حق بعض الأحاديث الثابتة لمجرد أن السلفيين يتمسكون بها ، وتجاوز السلفيون عن عمق علم أصول الفقه وخلطوا بين الثابت والمتغير ، فالثابت الذى لا نقاش فيه هو العقيدة والأصول ، أما المتغير فهو فقه الفروع لكنهم تعاملوا مع كل شيئ على أنه من الثوابت ووقعوا فى تناقضات مخزية عندما تشبثوا بالمتغيرات على أنها ثوابت واضطروا لمخالفتها بعد ذلك واتخذوا لأنفسهم شعارا هو بالفعل شعار لأهل السنة فى العقيدة والأصول ، لكن بعضهم عممه على الفقه ، فقالوا بأن منهجهم (قرآن وسنة بفهم السلف الصالح) ، ونقول هذا العنوان يحتاج إضافة جوهرية ، أن الفهم المقصود هنا هو الفهم فى العقيدة والأصول ، لا فهم وفقه الفروع وإلا كنتم مخالفين للسلف الصالح أنفسهم ، لأن سلفنا فى الصحابة والتابعين وهما أعلى الطبقات فى السلف اختلفوا فى الفروع على آراء متعددة ومذاهب متكاملة ، وكلها كانت اجتهادات صحيحة ومأجورة عملت بها الأمة وهى من باب التيسير المشروع ، بالإضافة إلى أن آيات الأحكام فى القرآن الكريم لا تتجاوز ٣٠٠ آية ، وباقي القرآن كله هو مجال للتفكر والتدبر والتفسير والتأمل لعلماء كل جيل طالما استوفوا شروط النظر فى القرآن ، لهذا فالأمة

قبلت تفسير السلف فى آيات الأحكام ، لكن لا يمكن قبول تفسيرهم ـ المناسب لعلوم عصرهم ـ فى آيات الكون والخلائق ، وإلا لقلنا أن الكواكب السبعة التى كانت مكتشفة فى زمان السلف هى نفسها السماوات السبع وفقا لتفسير بعض علماء السلف فى ذلك !

هذا فضلا على حقيقة وركيزة أساسية ، أن الأمة والسلف الصالح لو كان مشروطا عليها تفسير وفقه معين ومحدد فى غير مجال العقيدة والأصول ، لما ظهر علم الاجتهاد أصلا ، ولجاءنا النبي عليه السلام بتفسير محكم للقرآن ، لكن ما حدث عكس ذلك فاختلفت الاجتهادات وتنوعت بحسب ظروف كل عصر ، والنبي عليه السلام فتح باب الاجتهاد والتدبر لفهم آيات القرآن بقوله عن القرآن (لا يشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الرد) ، لهذا فأصل مشكلة الفقه عند بعض السلفيين هى عكوفهم ـ فى أمور الاجتهاد ـ على ما ورد من علماء الأمة السابقين دون أن يلاحظوا أن الفقه نفسه طبقا لعلم الأصول يتغير بحسب الزمان والمكان و أن أجيال السلف المتتابعة كان لكل منها فقه واجتهاد وإضافات للتفسير .

قال الشاب: وكيف ظهرت الفتاوى الغريبة ؟!

قال الكاتب: معظم الفتاوى الغريبة ظهرت فى السنوات الأخيرة ولم تصدر من الرموز أو العلماء المؤسسين بل من المعاصرين ، وهذا يعود إلى ظاهرة الجمود وتفضيل طابع التشدد خوفا من الوقوع فيما وقع فيه غيرهم من المبالغة فى التيسير الفقهى ، وكما قلنا مرارا أن التطرف يولّد التطرف ونظرا لأن قناعات السلفيين فى النظام السياسي قاصرة فقط على نفس متون الفقه القديمة فى السياسة الشرعية المناسبة لأحوال الخلافة الإسلامية فى وقتها ، ولطبيعة عرف الحكم فى تلك الأوقات ، فكان طبيعيا أن يعتبر بعض السلفيين مفهوم الأوطان والدفاع عنها بشكل يشابه الدفاع عن العصبيات القبلية المرفوضة ، متجاهلين مفاهيم الدولة فى العصر الحديث.

قال الشاب: هذا هو السبب الأول والثانى لأزمة الفتاوى، فماذا عن الثالث؟

قال الكاتب: الفهم المغلوط من هذا المفتى ، فالحديث الشريف يحصر الشهادة على من قاتل فى سبيل الله وهذا مفهوم عام وليس مفهوما خاصا للأعمال ، ولو قرأنا نص الحديث كاملا لوجدنا أن الصحابة كانت تسأل النبي عليه السلام عن مصير من يُـقتل وهو يقاتل لإظهار شجاعته أو يقاتل بنية الدفاع عن عصبيته القبلية ، أو يقاتل فى سبيل الحمية الجاهلية ، وبالقطع فإن القتال فى هذه الحالة قتال بنـيـّـة فاسدة ، ولكن

لا ينبغي أن نعمم تلك الأنواع على كل قتال ، لأن القتال فى سبيل الله يشمل حتى الدفاع الشرعى عن النفس بل والمال ـ طبقا لنصوص باقي الأحاديث ـ وكذلك دفاع المسلم عن أخيه المسلم دفاع حق ، وهذا يشمل بصورة أوسع الدفاع عن الوطن ككل..

وقد وقع من أفتى بالرأى السابق فى فهم خاطئ أشد ، فحب الوطن والإنتماء إليه والدفاع عنه ، لا يقع تحت مفهوم العصبية الجاهلية التى حذرنا منها النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال لأصحابه ناهيا (دعوها فإنها منتنة)، فالعصبية هى التعصب للوطن أو حتى للنسب والأهل والإفتخار بهما ومعايرة الغير بالإنتماء إليهما ، وهذا محرّم قطعا ، ولكن هل نقيس هذا على مجرد إنتماء الفرد لأبيه وحبه واعتزازه بأهله؟!

وبالمثل فى قضية الأوطان، فحبك للوطن والدفاع عنه هو فرع من إيمانك ولازم من لوازمه ، ولا علاقة لها قطعا بمسألة التعصب المذموم وإلا لكان دفاع المسلمين عن أرضهم أو دفاع المرء عن أرضه تعصبا وفقا لهذا المنطق الفاسد والتعصب بطبيعته ممقوت حتى فى الدين نفسه ، لأنه يؤدى إلى غمط الناس وبطر الحق ، وكمثال فإنك تناصر أخاك المسلم إذا كان مظلوما ، ولكنك تناصره إذا كان ظالما بنصرة المظلوم غير المسلم إذا اعتدى عليه المسلم كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ابن عمرو بن العاص فى خصومته الشهيرة مع القبطى المصري ، ولم يتعصب عمر الفاروق هنا للدين ولا تعصب لانتمائه القبلي المشترك مع أن عمرو بن العاص من كبار الصحابة ومن أشراف قريش

ثالثا : داء الإستقطاب الذى عصف بالأمة ، وخلق عصبيات مذهبية مختلفة ، وأشهر مثال له ما وقع من منتسبي المذاهب الفقهية المختلفة فى عصور متأخرة ، فرغم أن أصحاب المذاهب الأربعة كانت علاقتهم ببعضهم البعض أوثق من روابط النسب وكان بعضهم تلاميذ بعض ، كالشافعى الذى تتلمذ على يد مالك ، وابن حنبل الذى تتلمذ على الشافعى ، وأحبه حبا عظيما جدا وكان يدعو له فى صلاته لمدة أربعين عاما حتى أن ولده سأله عن سر ذلك ، فأجابه ابن حنبل بأن فضل علم الشافعى عليه وعلى الأمة يستحق هذا الحب وأكثر ، فالشافعى هو أول من أسس لعلم أصول الفقه ، وعلم أصول الحديث ، وناسخ ومنسوخ الحديث أيضا..

ورغم كل هذه الروابط إلا أن من انتسبوا للشافعية والحنابلة بعد ذلك قامت بينهم معارك دموية وكل منهم يظن أنه يناصر مذهبه وإمام مذهبه ! بينما الأئمة أبرياء من

هذا التعصب فالإستقطاب ومبدأ (إن لم تكن معى فأنت ضدى) هو السبب الرئيسي لفرقة الأمة كلها ..

والشاهد من هذا الشرح أن من أفتى بأن القتال فى سبيل الأوطان ليس قتالا فى سبيل الله يعود إلى أن بعض غلاة العلمانية اتهموا الدين بأنه لا يعترف بالوطنية ولا يؤسس لها ، وقال فرج فودة ـ أحد أكابرهم ـ أنه لو خيروه بين اختيار الوطن وبين الدين فسيختار الوطن !!

وبدلا من أن ينتبه العلماء لهذا الفخ المنصوب من العلمانيين ، بادروا على الفور إلى اتخاذ أبعد طرف عن مقولتهم ، والتطرف يولد التطرف بطبيعته ، مع أن الرد على فرج فودة وغيره سهل ميسور ، لأن عقد المقارنة بين الوطن والدين لا يجوز أصلا ، فالمقارنات ـ كأصل منطقي ـ إنما نعقدها بين المستويات المتساوية المتنافسة أو المتعارضة ، فتقارن بين وطن ووطن ، وبين دين ودين ، أما أن تقارن بين وطن ودين ، فهذا من المقارنات التى لا تجوز لعاقل ، ويشبه بالضبط من يقارنون بين الأب والأم !! ،

فالذى يطالبك بالإختيار بين الأب والأم أيهما أغلى اعلم أنه خبيث يريد الوقيعة ، لأن الأب والأم متكاملان ، لا متنافران حتى نقارن بينهما ، وبالتالى فالرد الأصوب على العلمانيين يكون بكشف خبثهم وبأن حب الدين والوطن معا يتكاملان ، ولا تنافر بينهما ،

قال الشـاب: ولكن العلمانيين يقولون أن القبطى المقاتل عن وطنه هو شهيد ..

أجـاب الكاتب:

ألم أقل لك مرارا أن هؤلاء القوم لا يريدون إلا الفتنة وحسب ، وإذا كان المسلم الشهيد نحن لا نضمن له صحة الشهادة فكيف بغير المسلم ، أليس هذا تدبير متعمد لإثارة الفتن وإلا فأخبرنى بأى هدف نثير هذه القضايا؟!

وهؤلاء لا يعتقدون بأن غير المسلم يكون شهيدا فحسب ، بل إنهم ينادون باعتبار أكفر الكفرة شهداء رأى فى زعمهم ، فخرج إبراهيم عيسي يقول بأن الصحفيين الفرنسيين الذين رسموا رسوما تسيئ وتسب النبي عليه الصلاة والسلام هم شهداء من وجهة نظره لأن المتطرفين قتلوهم بسبب ذلك ، وبغض النظر عن هذه التمثيلية المكررة وهى استخدام أذناب الخوارج الجدد لتنفيذ عمليات إرهابية فى الغرب بغرض تحقيق مكاسب سياسية وابتزاز العرب ، وفى عصرنا الحالى لم يكتف الغرب باختراق ودعم تلك التنظيمات سرا بل يدعمونهم الآن بشكل شبه علنى بالمال والسلاح بغض النظر عن هذا،،

فهؤلاء العلمانيون لا يكفيهم أن الناس تتركهم على معتقداتهم الفاسدة وحسب ، بل يصرّون إصرارا عجيبا على أن يحصلوا على اعتراف منّـا بالباطل التنويري الذى يدعون إليه ؟!!

والسر فى ذلك أنهم يشعرون فى أعماقهم بأنهم على باطل محض ، ويشعرون بغيظ كبير من احتقار الناس لهم ، لهذا فلم يعودوا يكتفون بارتكاب فضائحهم ونشر أقوالهم فيما بينهم ، بل يحاولون نشرها بين الناس لتتخذ الشكل الشرعى والإعتراف المجتمعى ، وهذا يدلل على مرضهم النفسي وانعدام ثقتهم بأنفسهم ، وبما يروجون له ، فأى إنسان يعتقد فعليا أنه على الحق ، تجده جريئا فى اعتقاده ، صارما فى الإعتزاز به بل ولا يهمه عدم اعتراف المجتمع به لأن الشعور بالحق يكفيه ، ولهذا تجد العلمانيين يستفزون الناس استفزازا رهيبا بلا مبرر ، فالعلمانيون ينشرون الآن أقوالهم ويمارسون شذوذ الأفعال والناس تهملهم ، ومع ذلك يأبون إلا الإعتراف المجتمعى بهم وهو محال ، وهم يرغبون فى أن يصبحوا هم قادة الفكر والرأى ـ ليس فى السياسة فحسب ـ بل فى الدين ، مع أنهم حتى عندما قاموا بقيادة الناس سياسيا والترويج لحكم المدنيين وجدناهم فشلة فى كل شيئ وليس لديهم أى تصور للحكم أصلا ، بل يريدون المقاعد فحسب ، تماما كتيارات الإسلام السياسي ، ولهذا وثق عامة الناس فى العسكريين لأنهم ـ فى أقل الأحوال ـ لديهم حدود صارمة يقفون عندها ، بعكس المدنيين من التيارين المتناطحين ولأن الناس تحتقرهم ، لذلك هجموا الآن هجمة رجل واحد على القرآن والسنة وتراثنا الإسلامى والحضاري ـ استغلالا لجمود السلفيين ونفعية الإخوان ـ وأخذوا ينـقبون فى سواقط كتب أهل البدع ليعايرونا بما نؤمن به ، على أمل أن يخشي الناس بعد فترة أن يعتزوا أو يفتخروا أو حتى يذكروا مجرد ذكر ، آية من القرآن أو حديثا نبويا أو قولا لأحد العلماء ،

وعندما لم يجدوا فى تراثنا الحضاري ما يمكن أن يستغلوه فى ذلك ، هرعوا إلى الأكاذيب والتدليس ، أو محاولة لى أعناق النصوص ، أو محاولة إلصاق أفعال الخوارج بأهل السنة، ومن أحاديث الإفك التى يروجونها ، قولهم بأننا نُـكفّر النصاري واليهود ؟!!

والكلمة عجيبة وغريبة فعلا فهل المسلمون من كفروا الكفار أم القرآن والسنة وأساس الدين يقول بذلك ، وقد أغفلوا عمدا حقيقة راسخة ، وهى أن أتباع كل دين لا يعتقدون بصحة أى دين آخر بالتبعية وإلا ما ظلوا على دينهم ، ولبيان خبثهم ونية بث الفتن الطائفية ، تراهم لا يوجهون هذا السؤال للقساوسة مثلا ولذلك وحتى يُـنـهى أحد

الدعاة المسلمين هذا الجدل ظهر فى إحدى الفضائيات مع قسيس ، وتوجه إليه بسؤال مباشر : ألا تعتقد بأنى ـ كمسلم ـ لا يؤمن بألوهية المسيح ، كافر من وجهة نظرك فأجاب القسيس بوضوح وصراحة: نعم بالطبع ، وإلا فلن أكون مسيحيا!!

فأين الإعلام المغرض من هذا التصريح الواضح وضوح الشمس، الرجل يقول لو لم أعتقد بكفركم لما كنت مسيحيا..

انتهت القضية إذا ، فعلام الطنطنة ؟!

ثم توصلوا إلى لعبة جديدة، وهى أنهم قرنوا لفظ التكفير الإعتقادى بضوابط المعاملة ، حتى يظن الناس أن قولنا بكفر أهل الكتاب يعنى بالتبعية استحلال دمائهم وأموالهم !!

فنقول أين هذا من معتقد المسلمين، بل ومن أفعال المسلمين عبر التاريخ ؟!

فعلى مستوى النصوص نحن نحمل للأقباط[٥٣] مبادرات من البر والمودة ، لا يمكنهم إطلاقا أن يردوها بالمثل ، فنحن فى معتقدنا كمسلمين ، نؤمن بنبوة ورسالة عيسي عليه السلام ، بل وبأنه أيضا من أولى العزم من الرسل ، بل ونتفوق عليهم فى أننا نعتقد بكفر من أنكر نبوة عيسي أو حتى قام بالطعن فيه بأى صفة من صفات الإنتقاص ، فهل يجرؤ القساوسة على رد هذا بالمثل فى نبينا عليه السلام؟!

أجاب الشاب: كلا بالطبع ، فهم لا يعترفون بنبوته..

أكمل الكاتب:

بل نحن نتفوق عليهم حتى فى أساسيات معتقدهم، وهى الحقيقة التى استخدمها الداعية الفذ الراحل أحمد ديدات ، عندما أحرج قساوسة أوربا وسألهم.. كم مرة ذكرتم (مريم) عليها السلام فى كافة كتب الأناجيل عندكم؟!

فلم يجيبوا ..

ففاجأهم أحمد ديدات بأن القرآن ذكر اسم (مريم) ثلاثة أمثال عدد اسم مريم فى كافة الأناجيل سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد، وهذا بخلاف الأحاديث النبوية التى ذكر فيها النبي عليه السلام مريم عليها السلام وهى الأحاديث التى اعتبرت وقررت لنا كعقيدة بأن أكمل نساء الأرض خمسة ، هن مريم وفاطمة وآسيا بنت مزاحم ـ زوجة فرعون ـ وخديجة، وعائشة رضي الله عنهم ، ثم زاد التخصيص فجعل أفضل الخمسة هن مريم وفاطمة وذلك فى نص حديث (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا

---

(٥٣) لفظ القبط هو وصف لسكان مصر الأصليين قبل الفتح الاسلامى بغض النظر عن عقيدتهم ، فالمصريون الذين دخلوا أفواجا فى الإسلام أيام الفتح ظلوا على وصفهم كأقباط لأنه وصف جنسية لا وصف دين، لكن الاصطلاح المعاصر درج على وصف مسيحيي مصر بذلك.

أربع مريم وفاطمة وآسيا وخديجة ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)، ثم جاء الحديث الأكثر تخصيصا ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام (فاطمة سيدة نساء العالمين ما خلا مريم ابنة عمران) ..

وحتى فى تفضيل الحسن والحسين رضي الله عنهما، استثنى النبي عليه السلام ابنى الخالة عيسي ويحيي عليهما السلام ، فقال (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة عيسي ويحيي) ليس هذا فقط ، بل إن القرآن الكريم أفرد لمريم وقصتها سورة كاملة ومُعنوَنة باسمها مع أن القرآن الكريم لم يذكر فى القرآن اسم أياً من زوجات النبي عليه السلام أو بناته أو أمه أو أبيه ، بل ولم يذكر صحابيا باسمه إلا الصحابي زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وكل الصحابة وزوجات النبي عليه السلام وردوا فى القرآن بالإشارة فقط دون النص ودون أن تكون لأحدهم سورة أو حتى آية فى القرآن تشتمل اسمه ، ولكنه ذكر مريم باسمها كاملا (مريم ابنة عمران) فى مرة وفى مرات أخرى باسم مريم ، ومرات يذكر اصطفاءها وعائلتها على العالمين ..

بينما فى أناجيل المسيحيين كلها لا يوجد فصل ـ وهو مقابل السورة عندنا فى القرآن ـ باسم مريم عليها السلام ، وآخر القول أننا فى عقيدتنا من يسيئ إلى مريم أو إلى عيسي عليهما السلام بأى انتقاص فضلا على أن يكون إنكارا لنبوته فهو كافر عندنا ، بينما عندهم من يؤمن بنبوة محمد فهو كافر فى معتقدهم فمن منا صاحب السبق والبر يا صديقي ؟! ومن منا أحق بأن يرفض محاولات الوقيعة ؟!

أجاب الشاب: رغم معرفتى بهذا الكلام إلا أنى أشعر وكأنى أسمعه لأول مرة..

قال الكاتب:

زد على هذا ما تقوله شريعتنا فى حقهم وما تقوله شريعتهم فى حقنا ، فنحن ننظر لأهل الكتاب على أنهم نوعان ، نوع محارب وهؤلاء نحاربهم متى اعتدوا علينا ، والنوع الثانى يشمل أهل الذمة والمستأمنون ، والمستأمنون عندنا هم كل كافر ـ حتى لو كان كافرا حربيا ـ يدخل إلى بلاد الإسلام بعهد أمان ، وأهل الذمة والمستأمنون فى الإسلام حمايتهم واجبة على الدولة ، فضلا على أن المسلم الذى يقتل ذميا أو مستأمنا هو برئ من ذمة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، بل لو أن مسلما أوقع الأذى فقط بهم فهو فى خصومة مع النبي عليه السلام رأسا ، لنص الحديث (من آذى لى ذميا فانا خصمه يوم القيامة) وهم بعهد عمر بن الخطاب آمنون على كنائسهم وعبادتهم وصلبانهم تعالى

معى إلى ما تقوله عقيدة النصاري فينا ـ وللأمانة فإن من طبقوها هم نصاري الغرب وحدهم ـ لأن هذا الكلام لا ينبطق على معتقد قبط مصر عبر التاريخ أما نصرانية الغرب فهى أصل البلاء فى المعاملة ولن أذكر إلا مثالا واحدا فقط وهو محاكم التفتيش التى أقامها القساوسة والرهبان فى الأندلس بعد هزيمة المسلمين هناك ، وكانت المحاكم تنشر التنصير الإجباري على المسلمين ومن يرفض يتم قتله بأبشع أنواع القتل ، هذا بعد استيفاء سائر أنواع التعذيب طبعا ، وملف محاكم التفتيش أكبر من أن يحتويه كتاب واحد ، وهى جرائم ستظل بعارها تلاحق الأوربيين مدى الحياة مهما حاولوا محوها

ولاحظ أن هذا القتل المنظم تم استنادا إلى ما تنص عليه كتبهم المحرفة التى تستحل صراحة دماء المسلمين ودماء أطفالهم ، فقارن هذا بما رويته لك من نصوص القرآن والسنة فى حقهم ..

قال الشاب: وماذا عن المتطرفين الذين استحلوا متاجر الأقباط فى موجة الإرهاب فى التسعينيات ؟!

قال الكاتب:

أنت بنفسك أجبت على سؤالك ، هؤلاء المتطرفون حكمهم فى القرآن والسنة أنهم خوارج ، والخوارج كلاب أهل النار بنص الحديث ، فكيف نتحمل فاتورة أفعالهم ، بالإضافة إلى أن هؤلاء الخوارج كفّروا المسلمين بعموم قبل أن يكفروا الأقباط ، والدليل على ذلك أنهم قتلوا من المسلمين أضعاف ما قتلوه من الأقباط ..

قال الشاب: وماذا عن الفتنة الطائفية ؟!

أجاب الكاتب:

أى متصفح للتاريخ سيدرك فى سهولة كيف أن موضوع الفتنة الطائفية هذا لا وجود له على الإطلاق فى تاريخ مصر من ألف وأربعمائة سنة وحتى بداية عصر الإحتلال الأجنبي الذى بدأ بالفرنسيين ثم الانجليز ، وقد فاجأ أحد الباحثين الناس جميعا عندما نفي وجود أى فتنة طائفية بين المسلمين والأقباط فى مصر حتى مجئ الحملة الفرنسية ، وتحداهم أن يأتوه بحادثة واحدة من كتب التاريخ المصري ولأن الغرب هو من ابتكر سياسة (فـرّق تسد) فقد بدءوا فى استخدامها منذ ذلك الحين عن طريق استغلال متطرفي الجانبين ، فذهبوا إلى أحد الأقباط واشتروه بالمال كى يعاونهم علنا فى احتلال البلاد حتى يظهر الأقباط وكأنهم خونة الأمة ، ولكن ذكاء ووطنية الأقباط أفسدت اللعبة

، وتبرأت الكنيسة من هذا الرجل ووقفوا صفا واحدا مع المسلمين فى مواجهة الاحتلال

كذلك حاول الانجليز مرارا اللعب على هذا الوتر ، ثم جاء عصر السادات ، وتفجرت الفتن أكثر ، والسبب يعود إلى أن الدولة أحبت استغلال الدين فى السيطرة على الشعب ، وفى اللعب مع الغرب لتحقيق مكاسب سياسية ، ولهذا كانت الحكومة ترعى المتطرفين من الجانبين لتفجير فتنة هنا أو هناك أو ابتزاز الكنيسة أو الأزهر نفسه وتضخيم أى حدث إعلاميا ومعنى عدم وجودها فى التاريخ رغم المعايشة الكاملة طيلة أربعة عشر قرنا ، يوضح أنها أزمة سياسية مفتعلة لا علاقة لها بأى صراع دينى ، وابلغ دليل فى التاريخ على ذلك هو موقف الأقباط من الحملات الصليبية وهى سبع حملات متتالية رفض الأقباط فيها إغراءات نصاري أوربا رفضا قاطعا وحاربوا ضدهم مع جنود المسلمين وأى مصري يعيش فى المجتمع سيدرك أن الناس بعمومها مسلمين وأقباط لم ينجروا وراء الإستدراج طويلا ، وهكذا كلما قامت فتنة ، انطفأت ، ويكفي تعبير أحد شيوخ الإسلام والذى زار مصر فى أحد أيام عام ٢٠١٢ ، حيث قال الرجل فى دهشة واضحة : قد كنت أظن أن الأقباط فى مصر يتم ذبحهم فى الشوارع !! ، فأين ما يتحدثون عنه فى الإعلام من وجود فتنة طائفية فى مصر !!

وهى كلمة تلقائية وواضحة الصدق ، فضلا أنها تعبر عن الفارق الرهيب بين الشحن الإعلامى والمعايشة الفعلية ، ولو أن نظام مبارك مثلا كان يريد لهذه الفتنة أن تنتهى لبادر إلى توقيع العقوبات المستحقة على أى متطرف من الجانبين لكنه لم يفعل لأنها كانت إحدى أوراق اللعبة، تماما مثلما تفعل الولايات المتحدة وانجلترا ، فعلى أرضها يعيش زعماء الإرهاب آمنون هناك ، فضلا على وجود الأقباط الداعين لتقسيم مصر فى قلب أمريكا، فهل يجيبنى أى عاقل يا عباد الله ، كيف يعيش الطرفان فى الغرب بالذات وهما ـ كما يفترض ـ طرفي نقيض وأعداء ديانة ؟!!

أجاب الشاب: شيئ مريب بالفعل ، خاصة أن التنظيمات الإرهابية تعادى الغرب كما يقولون ؟

قال الكاتب:

سنتناول ذلك بالتفصيل، ولكن ما يهمنى هو ترسيخ مفهوم أن مبتدأ الفتنة جاء به الغرب ، ثم كرره العلمانيون ، وقد انفضح هذا الأمر من خلال إثارة القضايا المفتعلة بين الجانبين على غير أساس واقعى، تماما كما أثاروا قضية التنافر بين الدين والوطنية ،

وهى كرة تم تداولها بين المتطرفين والعلمانيين فخرج أذناب التيارات الإسلامية السياسية لترويج مفهوم أن الوطن هو حفنة من تراب ، وخرج العلمانيون ليقولوا أن الوطن أقدس عندنا من الدين .. والهدف هو تشتيت المجتمع وحتى تتيقن أن الهدف هو إثارة الفتن والقلاقل بدون أى داعى ، فهل يمكنك أن تفسر لى ما هى الضرورة أو المناسبة التى تجعل أحد العلمانيين يكتب موضوعا بعنوان (رد الاعتبار إلى فرعون) ! ، وليروج بأن فرعون مصري ويجب الدفاع عنه ؟!!!

ثم جاء أحمد عبد المعطى حجازى ـ أحد تلاميذ طه حسين ـ ليكتب فى الأهرام ـ الجريدة الرسمية ـ مقالا ينتقد فيه قصة فرعون وموسي عليه السلام ، ويقول بان محتوى القصة فى القرآن يسبب إشكالية للمصريين باعتبار أنهم بعاطفتهم الدينية يميلون لمناصرة موسي عليه السلام ، وبعاطفتهم المصرية يميلون إلى فرعون !!!

وبغض النظر عن هذا الكفر الشنيع ، هل لك أن تجد لى سببا واحدا أو حتى ربع سبب لإثارة هذا الكلام من الأصل !!

وبالمثل ، هات لى سببا واحدا لإثارة قضية أن الجنود النصاري المدافعون عن الوطن هم شهداء !! ، ما هو الداعى والدافع لافتعال أى معركة بين المعتقدات هى أصلا خارج أى حوار ونقاش باعتبارها قناعات عقائدية وغيبية يؤمن بها كل إنسان حسب اختياره ! ، ولا يمكن توفيقها بالحوار أصلا فما هو الهدف الذى يسعى إليه هؤلاء ؟!

تساءل الشاب : لا يوجد هدف منطقي إلا إذا كانوا يريدون الفتنة وفقط ، ولا اعرف لماذا يشعلون هذه النيران أصلا ؟!

قال الكاتب:

الفتنة التى يسعون لتوسيع نيرانها ، ليست هى الهدف ، بل الفتنة هى الوسيلة التى توصلهم إلى هدفهم ، فلا يوجد من يشعل حربا لهدف الحرب وفقط بل يفعلها ليبيع السلاح مثلا أو يتخلص من خصومه معا ، وهكذا وبنفس المنطق فالغرب لم ينفخ فى نار الفتنة إلا لتحقيق مصالحه كما فعلها فى لبنان فقامت الحرب الأهلية ، وفعلها فى السودان فانقسمت ، وحاول إشعالها فى مصر فعجز، والعلمانيون هذه الأيام يشعلون الفتنة عن طريق استغلال الجو العام الغاضب ضد المتطرفين المنسوبين للإسلام ، ليس بهدف إبطال معتقدات هؤلاء الإرهابيين ، بل بهدف ضرب كل ثوابت العقيدة الإسلامية ، والانتقام من الأزهر وشيوخه ، وتصفية حسابات معركة التسعينات الشهيرة !

قال الشاب فى دهشة : وما هى معركة التسعينات هذى ؟!

قال الكاتب:

يحق لك السؤال بالطبع لأن أجيالنا فى فترة نهاية الثمانينات وبداية التسعينات كانت لا تزال فى طور الطفولة ، ولم يتشكل وعيها بعد، ولكننا نستطيع عن طريق القراءة المتعمقة لكتب تلك الفترة ، وغيرها ، أن نُكوّن صورة كاملة تماما لما كان يحدث ، لا سيما مع التشابه الشديد بين حوادث الإرهاب فى التسعينات وبين حوادث الإرهاب فى ما بعد ثورة يونيو ٢٠١٣ م ، ومن حسن الحظ أن أسواق الكتب القديمة لا تزال منتشرة وهكذا عثرنا على الكتابات التى خرجت فى تلك الفترة سواء من زعماء الإرهاب أو العلمانيين أو شيوخ الأزهر ، وقرأناها جميعا ، ولم أربط بين ما حدث فى تلك الفترة وما يحدث اليوم إلا عندما اكتشفت أن الإعلاميين الذين يقودون الحملة ضد ثوابت الإسلام اليوم ، هم بأنفسهم نفس الصحفيين المبتدئين خريجى مدرسة مجلة (روز اليوسف) العلمانية الشهيرة التى كانت تروج للعلمانية والتحرر فى التسعينات ، وكانت دأبها ـ ليس مهاجمة الفكر الارهابي ـ بل مهاجمة الفكر الاسلامى وثوابته ورموزه الكبري فى ذلك الوقت ،

رغم أن هؤلاء الرموز مثل الشيخ الشعراوى والشيخ الغزالى والشيخ عطية صقر والشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمهم الله جميعا ـ كانوا هم الجبهة الكبري التى اعتمدت عليها الدولة لدحض أفكار الخوارج التى كانت تغري العشرات من الشباب فى ذلك الوقت للانضمام للإرهاب واعتقاد كفر المجتمع والدولة ..

ولأن العلمانيين دوما ما يصطادون فى الماء العكر ، ولأن لهم ثأرا كبيرا مع هؤلاء الشيوخ منذ الستينيات ، لأن هؤلاء الشيوخ هم من تصدوا قبل ذلك لأفكار الشيوعية التى قادها الصحفيون والإعلاميون اليساريون ، وتصدوا أيضا لأفكار العلمانيين وحملة الفكر الفلسفي الغربي ، وكانت المعركة ضارية بين الجانبين ، فاليساريون والعلمانيون اتخذوا الصحف والمجلات وأفلام السينما ميدانا لنشر أفكارهم حيث أن الصحافة والإعلام كان حكرا عليهم تقريبا ، واتخذ الشيوخ الكبار منابر المساجد وبعض الوسائل الإعلامية المتاحة لهم كبرامج الإذاعة، وبالطبع انحازت الجماهير وبشكل ساحق لجانب شيوخ الأزهر الفطاحل ، وكانت الشعبية الساحقة لهؤلاء الدعاة ناجمة عن الثقة المطلقة التى أعطاهم الناس إياها ، ولم تكن ثقة من فراغ ، فعندما نذكر أسماء هؤلاء القامات كالشعراوى والغزالى وجاد الحق ، ونذكر مواقفهم من القضايا العامة ، ندرك تماما

أنهم حصدوا ما زرعوه هيبة فى نفوس الناس والسلطة ، ولم ير منهم الناس تناقضا بين أقوالهم وأفعالهم ، وكانت سيرتهم فى الحياة خير شاهد على الزهد وعدم طلب المناصب وعدم النفاق أو السعى لمركز مادى أو حتى معنوى ، وبالتالى لم يستطع العلمانيون أن يجدوا لهم ثغرة واحدة ينتقصونهم فيها ..

بعكس ما عانته أجيالنا من أفعال السلفيين والإخوان والتى جعلتهم محط سخرية وازدراء الناس بعد أن تنازلوا عن كل ثوابتهم طمعا فى أقل المكاسب السياسية فلما فقدوا السلطة عادوا من جديد للنغمة القديمة الإسلام هو الحل ، ولكن بعد أن فقدوا كل مصداقية أما شيوخنا الأجلاء رحمهم الله ، فلم يكن لهم إلا وجه واحد يظهرون به ،

ففي لقاء تليفزيونى مباشر للشيخ الشعراوى مع الإعلاميين ، فى إحدى مناسبات درء الفتنة بسبب الهجوم على الكنائس ، تكلم الشيخ الشعراوى وأوضح وأبان حكم الإسلام فى هذه الأفعال وكيف أن فكر الخوارج لا علاقة له بفكر الإسلام ، وتكلم أيضا على مبدأ (الدين لله .. والوطن للجميع) والتى انتشرت أيامها والعبارة كان من الممكن قبولها فى سياق حق المواطنين بالاتفاق على الوطنية ، بغض النظر عن الديانة التى هى علاقة للعبد مع ربه ، وهذا لا غبار عليه كفكرة عامة ، لكن العلمانيين استغلوها لتنحية الدين عن الحياة كلها ..

ففي تلك الفترة كانت فترة تنتشر فيها دعوة العلمانيين بفصل الدين عن الدولة وحصره فى العبادات فقط ووصل الأمر بفرج فودة لانتقاد توسعة أحد المساجد بعد أن ضاق بالمصلين ، فلهذا لم يسكت الشعراوى ورغم حساسية الموقف بادر إلى أخذ ناصية الكلام قائلا: (كلا إننى ارفض هذه الكلمة ، فوطنٌ بلا دين لا يلزمنا)

فلك أن تتصور موقفا مثل هذا، والجو ملبد بالغيوم ومتحفز ضد كل ما ينتمى للإسلام ، ومع هذا لم يسكت الشعراوى وكما نطق بالحق فى مواجهة الإرهاب ، نطقه فى كلمة ظن فيها ظنا أنها تساند العلمانية ..

وكذلك الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق وكان معروفا عنه حدة الطباع ، وحدث أن أرسلت رياسة الجمهورية أحد القوانين فى الأحوال الشخصية والتى وضعته سوزان مبارك ، حرم رئيس الجمهورية ، واحتوى القانون على بعض بنود (حقوق المرأة) بالمفهوم الغربي ، ولأن الأحوال الشخصية محكومة بالكامل بنصوص الشريعة الإسلامية ، لهذا كان لزاما موافقة شيخ الأزهر على القانون الجديد ، وبالفعل قرأ الشيخ رحمه الله بنود

القانون ووجد فيها تلك البنود التى تروج للمفاهيم العلمانية وتتصادم مع الشريعة ، فثار الرجل ، وألقي بأوراق مشروع القانون بعيدا معتبرا إياه عبث غير مقبول بأحكام الشريعة

فما كان من الرياسة إلا أن سحبت القانون فى هدوء ولم تصدره ، وفيما بعد ، وبعد رحيل كل هؤلاء القامات الفقهية تم إصدار القانون !!

القصد .. دارت المعركة بين هؤلاء الشيوخ وبين الإعلام ، واستخدم فيها الإعلام أرخص الأساليب ، منها تعمد السخرية من شيوخ الأزهر فى السينما ، وإظهارهم على أنهم قوم لا يهتمون إلا بالطعام والفتة ! ، وإظهارهم على أنهم جميعا يفسرون الدين على مزاج الحاكم ، هذا فضلا على الأسطوانة المشروخة ، أنهم يعادون العلم والتطوير والحرية والإبداع !!

وبالطبع خسر هؤلاء القوم معركتهم فى الستينات والسبعينات ، كما خسرها من قبل دعاة التنوير الغربي طه حسين وسلامة موسي ولويس عوض فى الأربعينات من القرن الماضي حتى جاءت موجهة الإرهاب الأولى فى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات ، وكانت أول مصائبها هى حادثة الاغتيال المروعة لرئيس الدولة والتى أعطت تصورا غير صحيح عن قوة الجماعات المنسوبة للإسلام ثم استمرت ضربات الإرهاب وتزايدت فى بداية التسعينات ، ومنحت هذه الجماعات قبلة الحياة للعلمانيين ، وجاءت الدولة بكبار العلماء والدعاة ليردوا على أفكار شباب الجماعات الإرهابية حتى تكون مواجهة الإرهاب متكاملة بالفكر والأمن وليس بالأسلوب الأمنى وحده ورغم أن اتفاقية كامب ديفيد كانت هى الحجة الرئيسية التى تفسر تكفيرهم للحاكم ، إلا أنها لا تفسر تكفيرهم للناس بعموم ، ولهذا جاءوا بالشيوخ الكبار السالف ذكرهم ليناقشوا هؤلاء الشباب ، فرفض بعضهم ، وقبل البعض الآخر وكانت نتيجة النقاش أن أدرك الشيوخ أن ما يفعله إعلام الدولة الرسمى كان إحدى الحجج الرئيسية عند تلك الجماعات لإقناع الشباب بكفر الدولة والناس ، لا سيما وأننى قلت لك من قبل كيف أن العلمانيين اصطادوا فى الماء العكر فهاجموا الإرهابيين مع شيوخ الأزهر وثوابت الإسلام ووضعوا الجميع فى سلة واحدة واستغلوا الدولة نفسها لترويج منهجهم.

قال الشاب مأخوذا : إذا فهى حيلة قديمة للعلمانيين باستغلال المناخ العام فى الهجوم على الثوابت.

أكمل الكاتب:

نعم، ولهذا بالغ العلمانيون منذ بداية التسعينات فى استغلال الصحف والإعلام الرسمى فى الهجوم على الشعراوى والغزالى بالتحديد ، لان الشيخان ـ رغم انشغالهما بمحاربة الفكر المتطرف ـ إلا أنهم لم يغفلوا عن إعلان الحرب ضد عتاة العلمانية فى ذلك الوقت فرج فودة، ومحمد خلف الله ، وغالى شكرى وغيرهم ، وكان فى نفس الكتيبة تلاميذهم إبراهيم عيسي وزملاء جيله ، وكان معظمهم صحفيين مبتدئين فى روز اليوسف.

قال الشاب : إذا إبراهيم عيسي له معركة قديمة فى هذا المجال.

قال الكاتب:

نعم وأفكاره هذى جلبها من معركة التسعينات ، وستجد أشهر مقالاته فى تلك الفترة فى كتاب قديم له ، وهو كتاب (أفكار مهددة بالقتل) هاجم فيه بعضا من شيوخ التطرف ،لكنه خصص الجزء الأعظم منه للهجوم المقذع على الشيخ الشعراوى ، مع أن الشعراوى والغزالى كلاهما انضم للإخوان فى الخمسينات لفترة قصيرة وخرجوا منها معلنين الحرب عليها بعد اكتشاف حقيقة أفكارهم ، فتحدث الشعراوى بعد ذلك عن فساد الجماعة بسبب وجود النظام الخاص ، وكيف أن هذا النظام كان أداة إرهاب لا أداة دعوة ، كما واجههم الغزالى بكتاب شديد اللهجة اتهم فيه الإخوان بأنهم انضموا للحركة الماسونية وشربوا من أفكارها أى أن عطاء الشيوخ فى حرب الإرهاب كان أكبر من أمثال ابراهيم عيسي وأمثاله بمراحل[٥٤] فكيف يمكن تفسير مهاجمة العلمانيين للشيخين، بينما يسعى الشيخان لمواجهة فكر الإرهاب بالمفاهيم الدينية الصحيحة، فلو كان العلمانيون مخلصون حقا للوطن، لما هاجموا أصلح جبهة تتصدى لفكر الخوارج، والشخصيات الوحيدة التى قد يقتنع بها الشباب المضلل لكن كما قلت لك كان هم الجيل الجديد من العلمانيين بقيادة فرج فودة ، هو استغلال الفرصة السانحة للقضاء على فكر الخوارج وفكر الإسلام نفسه وإعلاء العلمانية كدين جديد للدولة ، فكثفوا هجماتهم التى تحمل طعنا شديدا فى القرآن والسنة ، وبلغت الوقاحة بفرج فودة أن يسخر فى مجالسهم ونواديهم من السنة النبوية ومن الحدود الجنائية ثم يغرق هو وجمهوره فى الضحك

(٥٤) من مضحكات تجربة ابراهيم عيسي أنه هاجم الاخوان فى التسعينات ثم اتحد معهم اتحادا كاملا فى الألفية الجديدة أيام الكفاح ضد مبارك حيث كان ابراهيم يعتمد على الاخوان فى توزيع جريدته لتصل لارقام قياسية ثم واصل التحالف معهم حتى وصولهم للسلطة ثم عاد فانقلب عليهم كما هو معروف.

والتندر ، ولم يكتفوا بذلك بل سجلوا هذه الندوات على أشرطة فيديو وكتبها بعضهم فى مقالات صحفية ، وكانت مشكلة ذلك العصر أن الصحف كلها والإعلام المرئي كله ، كان يقتصر على ملكية الدولة فلم تكن هناك فضائيات خاصة ولا صحف خاصة ، ولهذا استغلت الجماعات هذه الحقيقة فرسخوا فى أنصارهم اعتقاد كفر الدولة التى ترعى هؤلاء العلمانيين وتنشر أفكارهم وطعنهم فى صحفها الرسمية ..

أى ان العلمانيين الذين يتهمون التراث الاسلامى بتربية الإرهاب ، هم أنفسهم من كانوا الوقود الذى استخدمه الإرهابيون لتبرير جرائمهم الوحشية وإقناع أتباعهم بأنهم يدافعون عن الدين ..

قال الشاب: وماذا فعل الشيوخ فى تلك المرحلة.

أجاب الكاتب :

انتبه الشعراوى والغزالى إلى اللعبة العلمانية ، وكما قلت لك قاموا بالرد والهجوم على الفكر العلمانى ونبهوا المسئولين لخطورة مسالك العلمانيين فى صحف الدولة ، وجاء فى أيامها من بداية التسعينات وزير داخلية جديد هو اللواء محمد عبد الحليم موسي ، وكان الرجل ـ فيما يبدو ـ مقتنعا جدا بما حذر منه الشيوخ ، ولهذا عقد مع العلماء عدة لقاءات وأخبرهم أنه ينوى اتباع سياسة أمنية جديدة تهدف الى تجفيف منابع الفكر المتطرف ، ولهذا خفف من التعذيب الذى كانت الشرطة تلجأ إليه مع المعتقلين ، وعقد أول جلسات المراجعات لمنسوبي تلك التنظيمات ، وبالطبع لم يستجب كل المعتقلين ، ولكن عددا لا بأس به من القيادات استجاب وتحول عن اعتقاده ، ولكن قبل أن تثمر التجربة تسرب الخبر الى صحفيي روزاليوسف.

قال الشاب: وماذا فعلوا ؟!

قال الكاتب:

قاموا بأكبر عملية تحريض ضد وزير الداخلية وضد الشيوخ الذين رعوا تلك المراجعات ، واتهموا الدولة ساعتها بأنها تبيع الصحفيين الأبطال ـ فى زعمهم ـ الذين يتصدون للإرهاب ، وتتحاور مع الإرهابيين الذين لا ينفع معهم إلا الاعتقال أو الإعدام ، وأن كل من يزعم توبته منهم يخادع الدولة وسيخرج ليعيد الكرة من جديد ، وهذا الأمر قد يبدو مفهوما لبعض القيادات ، لكنه قطعا لم يكن هذا صحيحا بالنسبة للكل ، فالذين استجابوا فعليا لهذه المراجعات ظلوا كما هم بل وكانوا حتى فى أيامنا هذى من أفضل

من تصدى لفكر رفاقهم السابقين فى الجماعات ، مثل نبيل نعيم مؤسس تنظيم الجهاد نفسه ، ومثل الدكتور ناجح إبراهيم ، ومثل الآلاف الذين انشقوا عن تنظيم الإخوان بمجرد وقوع أحداث ثورة يناير ـ عقب موقف الجماعة المخزى من الانسحاب منها ـ فلما عادت الجماعة لاستغلال نجاح المظاهرات أعلن الشباب كفرهم بتلك القيادات واستمرت الإنشقاقات تترى مع الأحداث حتى فى ظل حكم الإخوان وهم أسماء لامعة ومعروفة من الباحثين الشبان ، وكل هؤلاء كانوا من المعارضين الشرسين فى فترة حكم الإخوان ، بينما فضل الباقون من المستفيدين من التنظيم ، البقاء على معتقدهم القديم سواء كانوا من الإخوان أو من تنظيمات الإرهاب المتحالفة معهم مثل عاصم عبد الماجد وطارق الزمر الخلاصة أن من يقرأ مذكرات شباب الجماعات المتراجعين فى تلك الفترة ويعود لأحداثها ، يكتشف بالفعل أن الداخلية نفسها ـ وليس النظام وحده ـ كان بها إتجاه شديد القوة لردع الأفكار المتطرفة عن أذهان الشباب المغيّب والذى يمثل رقما مهولا ، ومعظمهم يفعلون ما يفعلونه وهم على قناعة تامة ، ولهذا كان من السهل جدا عقد الأمل على المناقشات معهم لأنهم ليسوا إرهابيين مستأجرين أو منتفعين كبعض قياداتهم أو حال قيادات الإخوان اليوم ، وكما قلت لك من قبل ..

فشلت التجربة الأولى للمراجعات نسبيا بسبب فرعى وهو غلو وحماقات بعض القيادات فى الجماعات ، ولكن كان السبب الرئيسي لتراجع الدولة نفسها ما فعله صحفيو روزاليوسف من إعلان الأمر صحفيا وتصويره كما لو كان مؤامرة عليهم !

فكان أن تم اتخاذ القرار بإقالة وزير الداخلية ـ صاحب الفكرة ـ وتعيين حسن الألفي الذى أعاد السياسة الأمنية القديمة فى استخدام القوة الأمنية وحدها وكان من نتيجة ذلك أن استمرت فترة معاناة الدولة من الإرهاب حتى نهاية التسعينات واضطروا للعودة مرة ثانية لفكرة المراجعات فى محاولة لتقليص عدد المنتمين لتلك الجماعات ، وكانت تجربة المراجعات الجديدة هى التجربة الناجحة قطعا وفككت أغلبية تلك الأفكار عند منتسبيها بنسبة كبيرة جدا .

سأل الشــاب:

ولكن هل كانت الدولة تفرج عن المتراجعين ؟!

قال الكاتب:

لم يتم الإفراج عن احد إلا عن بعض المعتقلين على سبيل الاحتراز، أما المتورطون

فى عمليات الإرهاب فكانوا يقضون فترة عقوبتهم كاملة ، وما يكسبونه من المراجعات هو منطق ردهم لمفهوم المواطنة مرة أخرى ، وهذا مكسب كبير فى حد ذاته ، بالإضافة لمكسب أمنى بالغ الأهمية ، وهو أن بعض المتراجعين كانوا من قيادات التنظيمات كما سبق القول ، فأفادوا الأمن كثيرا بالمعلومات المتوافرة لديهم ولهذا تحققت النتيجة الأكبر فى تلك الآونة أن أصبحت التنظيمات المتطرفة لا تحتوى شبابا غريرا بأعداد ضخمة كما كان يحدث بالماضي ، واقتصر الإرهاب على زعماء الإرهاب فى الخارج بمؤامراته الدولية المعروفة أى أنه أصبح مرهونا بأعمال العصابات المستأجرة وفقدت تلك الجماعات كل أرضية لها فى مصر فى نهاية التسعينيات ..

قال الشاب: وهل يمكن استخدام المراجعات والدعوة للمصالحة كما يردد البعض هذه الأيام ؟!

أجاب الكاتب :

لا مفهوم لمعنى المصالحة الآن أصلا ، فالظرف الآن يختلف كليا عن تجربة التسعينات فمنسوبي الجماعات فى نهاية القرن الماضي كان من الممكن القول بأنهم من المخدوعين أما بعد تجربة الإسلاميين فى الحكم والتناقض الفاضح والكاسح بين شعاراتهم قبل الحكم وبعده ، واعترافاتهم الصريحة وتبنيهم لكل أعمال الإرهاب فى ما بعد ثورة يونيو فضلا على تبجحهم بخيانتهم علنا واستعانتهم المعلنة بحلفائهم فى الغرب وتدخل الغرب تدخلا غير مسبوق لمحاولة إنقاذهم ، كل هذه العوامل لا تجعل هناك عذر بالجهل لكل من ساندهم ويساندهم الآن ، ففي معيار الوطنية لا يوجد اختلاف مقبول فى الرأى بل يوجد حق واضح وباطل واضح .. ولهذا لم يعد مع الإخوان إلا من استفادوا ويستفيدون من التنظيم ، أو يرتبطون معهم بمصالح مشتركة.

تساءل الشاب: وماذا عن تكرار العلمانيين لنفس لعبة التسعينات فى التحريض ضد ثوابت الدين ..

قـال الكـاتب:

رغم أن العلمانيين يكررون نفس التجربة وبنفس الأسماء القديمة، عن طريق تصدر صحفيي التسعينات للمشهد اليوم بنفس الأسلوب ، وإعادة طبع كتب فرج فودة، ونصر أبو زيد، وزيادة درجة الوقاحة والسفالة والطعن فى الدين ، والدعوة لترك الإسلام بالكلية، إلا أن كل هذا لا يمثل عذرا من أى نوع لمناصرة الإخوان أو مناصرة الإرهاب ، وذلك

لأسباب ظاهرة الوضوح ، فالإعلام الخاص هو الذى يقود معركة العلمانيين اليوم وليس إعلام الدولة كما كان فى السابق ، والإعلام الخاص بتمويله المعروف من رجال الأعمال لا يعمل إلا لما يخدم مصالحه، حتى لو ضد الدولة، فضلا على حقيقة هامة كررتها كثيرا لك من قبل، فحتى لو ناصرت الحكومة هجمات العلمانيين صراحة وتبنت أفكارهم ، فلا يعنى هذا أن نكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فنذهب لمناصرة الإرهاب !

فهذه المعادلة الملعونة يجب أن تنكسر، والعلمانيون هم من فرضوها على المجتمع وابتزوا بها الناس ، حتى لا يبقي فى الساحة إلا أنصار الإلحاد وأنصار الإرهاب !!

مع أن الشعب المصري يضم الملايين ممن يرفضون الجانبين بنفس القوة، ويحاربونهم بنفس القوة أيضا، ولو لم تنتبه الدولة لهذا الفخ الذي دبره العلمانيون، فإن حالة الاستقطاب ستزيد وتتسع ، وتبتلع الوطن بأكمله، ولكن بفضل الله تعالى فإن الوجه العلمانى والإخوانى يحظيان بنفس الكراهية عموم الناس، ويكتب الكثيرون ضد الجانبين ، ولو انضمت الحكومة بمؤسساتها إلى الجانب العلمانى كما يتمنى العلمانيون ، فسنكتب ضد توجهها هذا دون أن نتنازل عن مناصرتها فى معركة الإرهاب فى نفس الوقت ، وهذا هو موقف كل مسلم معتدل منذ نشأة الفرق المنشقة عن أهل السنة وحتى اليوم ، فقد حارب أهل السنة فرقة الخوارج ، كما حاربوا المعتزلة أيضا.

قال الشـــاب: والمعتزلة هم كالعلمانيين اليوم ، أليس كذلك ؟!

قال الكاتب:

المعتزلة هم الآباء الشرعيون لاتجاه العصرانية الذى ظهر فى بداية القرن الماضي واعتمد على الفلسفة فى نقد الثوابت، وهم يشابهون العلمانية وكافة أهل البدع فى إنكار العمل بالسنة الثابتة، ولو أنك تأملت أقوال الفرق جميعا ورغم تناقضها الكبير فى أفكارها إلا أنهم جميعا اشتركوا فى العداء الشديد للسنة النبوية الواردة عن طريق الصحابة ، واشتركوا فى بغض الصحابة أنفسهم ، فضلا على كافة علماء السلف، وعليه سنعرض لقضية الفلسفة الكلامية وشبهاتهم ، وعلاقة فلاسفة الماضي بالعلمانيين والمتغربين اليوم فلسفة الأديان وتيار التغريب.

قال الشاب: توقفنا سابقا عند فلسفة الغرب ولكن ما السبب فى تحريم فلسفة الأديان ؟!

أجاب الكاتب:

لقد هاجم العلماء نوعا واحدا من الفلسفة فقط وهو ما يسمى (بفلسفة الأديان) لأنها فلسفة ضلال فضلا على أنها فلسفة غير منتجة أصلا فهى تبحث عن حقائق الأمور الغيبية ، وهذا تخلف محض لأن إدراك حقيقة الغيب أمر مستحيل ، لهذا فكل فلاسفة الأديان مجموعة من مرتادى مستشفيات الأمراض العقلية وانظر بنفسك إن شئت ما تقوله فلسفة أفلاطون وأرسطو ـ وهى المصدر الرئيسي لفلسفة الأديان عند المعتزلة ـ انظر ما يقولون فى وصف الكون والخالق والقانون الطبيعى والعقل الأول والمدينة الفاضلة ، والحاكم الفيلسوف .. إلخ ، وربما كان هؤلاء الفلاسفة القدامى معذورين بالجهل لكن ما هو عذر المعاصرين من الذين عظموا نفس أفكارهم وأحبوا تطويع المعارف الدينية لفلسفتهم.

قال الشاب فى دهشة: ألا تعتبر وصف الجنون قاسيا على أفلاطون وأرسطو رغم تعظيم الناس لهم.

أجاب الكاتب:

لقد قلتُ ذلك استنادا إلى ما طرحوه من أفكار، أما أنت فتردد ما تسمع دون أن يخبروك بفحوى هذه الأفكار وهذا يثبت صحة وجهة نظرى بأن معظم المتشدقين بالفلسفة لا يعرفون عنها شيئا ويتخذونها فقط للظهور بمظهر المتنورين، ولن أكثر عليك بشرح مطول فى هذا الباب ، فيكفي أن أذكر لك بعض الأمثلة لتصورات أفلاطون وأرسطو وسأترك الحكم على تلك الأفكار لك وللقارئ ما الذى تحكم به على إنسان يدعو إلى مفهوم المدينة الفاضلة ـ أى المدينة المثالية فى وجهة نظره ـ بأنها المدينة التى تحتوى ثلاث طبقات، طبقة الحكام الفلاسفة فى الأعلى وطبقة الحراس والشرطة فى الوسط وطبقة عوام الناس من الحرفيين ، ويحكم بعنصرية مطلقة بمنع أى فرد من ترك طبقته إلى طبقة غيرها مهما كانت الأسباب ، حيث أن الطبقات محددة سلفا ، بمعنى أنك لو كنت من أبناء العوام وأظهرت نبوغا يؤهلك للحكم فهذا غير مسموح لك به ، وهذه هى أفكار أفلاطون للمدينة المثالية وهى نفس الأفكار التى أسست فيما بعد لعنصرية الطبقة الحاكمة فى أوربا عبر تاريخها ، والتى عاشت بسببها أوربا فى عصور الظلام بينما حضارة الإسلام تنير العالم شرقا وغربا أما الجنون الحقيقي فيتمثل فى أن أفلاطون لا يعترف بحق الملكية الفردية بل يجب أن تمتلك الدولة كافة وسائل الإنتاج ـ وهى بذرة الشيوعية بالمناسبة ـ ثم بلغ به الجنون إلى حد دعوته بتخصيص فترات معينة تسمح

فيها الدولة بالإنجاب حفاظا على قوة النسل ، فإذا خالف الناس هذه القاعدة فعلى الدولة أن تقضي على النسل الناتج !!

أما أصحاب العاهات وأصحاب الأمراض المزمنة فيري أفلاطون أنهم عالة على المجتمع ويجب تركهم وعدم علاجهم لأن الطب ينبغي أن يظل فى خدمة الأصحاء والأقوياء للحفاظ على صحتهم تكريسا لمفهوم قوة الدولة [٥٥]

فما رأيك يا ترى بهذه الفلسفة ؟!

قال الشاب فى دهشة: هل هذا هو معنى المدينة الفاضلة أو يوتيوبيا الشهيرة ؟!

ثم أضاف : ولكن هذه فلسفة حكم فماذا عن فلسفة الأديان؟!

قال الكاتب:

لا تختلف كثيرا عن هذه الهرطقة وهى فلسفة وثنية تعتقد بقدم العالم ـ أى أن الكون أزلى وغير مخلوق ـ وتصف الخالق بأوصاف لا تليق ، وهى نتاج طبيعى لإنكارهم مفهوم الأديان والرسل ولهذا عندما نقل المعتزلة أفكار أفلاطون وأرسطو وحاولوا صبغتها بصبغة الإسلام تصدى علماء السنة لهم بشدة فعلماؤنا لم يهاجموا الفلسفة أو التفكير أو إعمال العقل بل هاجموا تضييع العقل فى قضايا غير منتجة، والفارق ضخم جدا، فجمهرة كبيرة من المثقفين مع الأسف الشديد نظرت إلى الفلسفة على أنها مجال محدد كالعلم له قواعد وتاريخ يجب الإلتزام به لكل من أراد أن يمارس الفلسفة!

وهذا خلط رهيب قد وقعوا فيه وسبق أن شرحت لك الفارق بين العلم وبين الفلسفة، فالعلم ميراث مشترك يمكن أن تتبادله الشعوب أما الفلسفة فتراث إنسانى يخص كل أمة حسب مصادر معرفتها وبالتالى ففلسفة الغرب تختلف تماما عن فلسفة الشرق لإختلاف مصادر التلقي واختلاف الموروث الثقافي والنظرة للكون والعالم، لكننا للأسف وقعنا كمسلمين فى فخ التغريب بسبب تصدير الغرب أفكاره إلينا، فاقتنع به المفكرون ممن يشعرون بالضعف والضآلة أمام التقدم الغربي فظنوا أن الفلسفة لا تعنى إلا أفلاطون وأرسطو ونيتشه ومونتسيكيو!، وظنوا أن الفكر لا يكون فكرا إلا إذا اقترن بالأفكار الغربية

والمفارقة المضحكة حقا أن الغرب الآن يراجع هذه الفلسفات وينتقدها، وبعض المفكرين الغربيين اتهموا نيتشه وديكارت بإفساد العقل الغربي، ففلسفة الشك التى ابتكرها ديكارت يقول الدكتور مصطفي محمود أنها أدت بأحد الفلاسفة إلى القول عن

(٥٥) للمزيد عن مفاهيم الدولة والكون عند أفلاطون وأرسطو يرجى مراجعة كتاب (القانون الطبيعى) ـ د/ طه عوض غازى ـ رئيس قسم فلسفة القانون بحقوق عين شمس.

نفسه أنه الحقيقة الوحيدة فى هذا العالم والباقي كله عبارة عن أوهام فى خياله هو !!
ومفكرنا العظيم عبد الوهاب المسيري له أفكار نقدية رائعة وضح فيها مصائب ما بعد فلسفة الحداثة الجارية فى أوربا الآن ، وجاء الإعلام المغرض ليكمل التغريب وانظر معى مثلا إلى الإعلام منذ بداية القرن العشرين ستجد أنه يُعظم ويطلق الألقاب الفخمة على أناس بعينها ، فسمعنا لقب عميد الأدب على طه حسين ولقب أستاذ الجيل على أحمد لطفي السيد ولقب الأستاذ الإمام على محمد عبده ، وغيرهم كثير .. وأنا لا أنكر الألقاب ومعرفة فضل أصحاب العلم والفكر ولكن السؤال لماذا اهتمت دوائر الإعلام والدولة ودعاة ما يسمى بالتنوير بهؤلاء المفكرين تحديدا ، وصيغت باسمهم المؤتمرات والندوات واحتفت بهم الدولة فأنتجت عنهم الأفلام والمسلسلات بل وقاموا بتدريس حياتهم على طلبة المدارس حتى خرجت أجيالنا ومن سبقونا وهم يرددون ما تم تلقينهم إياه دون أن يقرأ أحد منهم حرفا واحدا من حقيقة أفكار هؤلاء المفكرين فى نفس الوقت الذى تمت التعمية المقصودة على أعلام أفذاذ جاءوا فى نفس العصر ولكنهم لم يكونوا سفراء للفكر الغربي بل تصدوا له بالفكر الإسلامى وسحقوهم سحقا فى معارك فكرية مشهودة مثل كتابات محمود شاكر[٥٦] وشقيقه العلامة أحمد شاكر[٥٧] وكتابات الرافعى[٥٨] فى الرد على طه حسين وردود الشعراوى والغزالى على العلمانيين، فتم تحجيم كتب هؤلاء حتى اختفت أسماؤهم تقريبا من عالم الإعلام والتعظيم ؟!

وعندما تعددت وسائل المعرفة ولم تعد تحت سيطرة الحكومات، وخرج فى نفس الوقت أجيال جديدة من المثقفين احتكت بغيرها، هنا أحب هؤلاء المثقفون أن يتعرفوا على الرموز بعد القراءة عنهم ، وبالطبع اكتشفنا ساعتها ما كان يحدث لنا، وعرفنا أن هناك شخصيات أخرى كثيرة أجدر بالإتباع والتقدير ولأن العقل العربي المعاصر ترك القراءة وأهملها حتى وصل الأمر الآن إلى مستويات غير مسبوقة فى التقليد حتى بين الصحفيين والإعلاميين، وتأمل واقع كتاباتهم ستجد أنهم يقعون فى أخطاء غريبة

(٥٦) محمود شاكر الأديب والناقد الكبير وشقيق العلامة المحدث أحمد شاكر ، ويعتبر محمود شاكر من أعيان مفكرى مصر فى حقبة الخمسينات وله كتاب معتبر فى الرد على طه حسين ولويس عوض بعنوان (أباطيل وأسمار)

(٥٧) العلامة أحمد شاكر المحدث المصري المعروف وهو واحد من أكبر أربعة علماء حديث فى القرن العشرين وهو من قام بتحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل كما له كتابات ومقالات رائعة فى التصدى للتغريب أشهرها كتاب (حكم الجاهلية) وهو وشقيقه محمود شاكر نجلا الشيخ محمد شاكر أحد أكبر شيوخ الأزهر فى العشرينات

(٥٨) للرافعي كتاب شهير فى الرد على طه حسين بعنوان (تحت راية القرآن) يعتبر أقوى وأقدم وأشمل الردود المكتوبة على مفتريات كتاب الشعر الجاهلى.

ويجهلون حتى بعض المسلمات التاريخية والثقافية ، وبالتالى فالذى نظر للقراءة على أنها عناء اضطر إلى ركوب موجة الإعلام الموجه فصدق كل ما يُـقال عن الشخصيات الشهيرة دون أن يكلف نفسه عناء البحث خلفها حتى بهدف التعلم والفائدة وليس هدف النقد، ولهذا تجد الإعلاميين والكـتّـاب اليوم يرددون كالببغاوات كلام من عينة رواد الفكر التنويري طه حسين وسلامة موسي ومحمد عبده دون أن يقولوا لنا ـ ولو لمرة واحدة ـ مثالا واحدا أو فكرة واحدة أتى بها هؤلاء المفكرين وساهمت فى إحياء العقل العربي أو التجديد الدينى كما يزعمون ! ، ولم يخبرونا بطبيعة هذه الأفكار ومصدرها وأهدافها ونتائج تطبيقها على الدين والحياة..

ولهذا لو قمت اختبار بسيط لأى مؤيد لأفكار طه حسين أو محمد عبده وسألته نفس السؤال فسيعجز عن ذكر مثال واحد أو عمل واحد لهؤلاء يصلح أن يكون مسوغا لوصفهم بالنبوغ والتفرد!

قال الشاب فى دهشة : ما معنى هذا الكلام ؟ هل تعنى أنهم يؤيدون الأسماء دون أفكار محددة ؟!

قال الكاتب:

ليس كل مؤيديهم كذلك، فتلاميذ طه حسين ومحمد عبده الذين أخذوا منهم مباشرة ـ وبينهم قيادات وزارة الثقافة وقيادات الجامعات على مدار نصف قرن ـ يعلمون تماما أبعاد المشروع الفكرى لأساتذتهم ويؤيدونه قلبا وقالبا، ولكنهم يتعمدون عدم ذكر التفاصيل لأنهم لو ذكروا الأفكار والتفاصيل سيفزع منهم الناس جميعا حتى من يشجعونهم، أما بقية المثقفين المعاصرين فهم يرددون التعظيم والتفخيم دون إدراك لحقيقة المكتوب ذاته ، وأنا لا أعرف يقينا رد فعل هؤلاء لو سمعوا التفاصيل، لكن بالتجربة العملية وجدت كثيرا من الشباب استنكروا بشدة أفكار طه حسين وغيره من دعاة ما يسمى بالتنوير بل إن بعضهم لم يصدق ما ورد فى كتبهم حتى رجعوا إليها بأنفسهم أما المثقفين المعلبين الذين يرددون الألقاب والأوصاف العامة دون تحديد ، فقد جرت لى معهم تجربة بسيطة تدلك فى بساط على مدى ضحالة العقول عندما تفتقر المنطق، فقد سألت بعضهم سؤالا واحدا فقط، ما هو سبب إطلاق لقب عميد الأدب العربي على د. طه حسين ، وما هى أفكار التجديد والتنوير فى الدين والأدب التى جددها وأعلاها ليستحق هذا اللقب..

وهو سؤال بالغ البساطة وسؤال مشروع جدا ، لأن خلفية الألقاب تاريخيا من المفترض أن تكون مقترنة بأصحابها ..

تماما كما نطلق على البارودى وشوقي وأم كلثوم وعبد الوهاب ألقاب خاصة بهم بسبب أن لكل منهم عمل إبداعى ونهضة تسبب فيها ، فالبارودى وشوقي أعادوا إحياء الشعر العربي من مرحلة الإنحدار المملوكى الفادح إلى آفاق اللغة الرصينة والمتمكنة ، وأم كلثوم وعبد الوهاب نهضوا بموسيقا الشرق من إنحدار الحدود الضيقة إلى آفاق العالمية .. وهكذا ورغم بساطة السؤال عن طه حسين ، فقد عجزوا تماما عن الإجابة ، بل الأفدح أنهم يجهلون حتى الظرف التاريخى لهذا اللقب ، وأجابنى أحدهم أن الغرب وجامعات الغرب هم من أطلقوا على طه حسين هذا اللقب وهذا مخالف للواقع على طول الخط ، لأن طه حسين كان عميدا لكلية الآداب بجامعة القاهرة واشرف وسمح بمسرحية إلحادية على مسرح الكلية هاجت بسببها الجماهير ، فصدر قرار إقالته من رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ، فناصر العلمانيون وصحف التنوير طه حسين فأطلقوا عليه هذا اللقب !!

أى أنها تسمية صحفية معاندة جاءت من بعض مناصري الإتجاه الحداثي والثقافة الغربية وتتعلق بواقعة المفترض أن يخجل منها طه حسين ، فانظر كيف أبقوا على اللقب وروجوا أنه لقب مستحق لعطاء طه حسين فى الدين والأدب ، ويكفيهم للفضيحة الكبري أن بعضهم لا يعرف أن طه حسين نفسه ليس متخصصا فى الآداب العربية أساسا والدكتوراة التى حصل عليها فى تخصص آخر تماما من تخصصات التاريخ بل إن معظم معاصري طه حسين وأساتذته فى جامعة القاهرة لهم شهادات مؤثرة جدا لا يعلمها أحد حول حقيقة علاقة طه حسين بالأدب العربي منها شهادة زكى مبارك مثلا وهو قامة علمية كبري كان من أشد المستنكرين لقبول جامعة القاهرة تعيين طه حسين عميدا لكلية الآداب باعتبار أن أكابر أساتذة المجال أولى منه أما عطاؤه من الناحية الدينية هو كما رأينا فى كتبه ولا يمت لصحيح الدين والتاريخ بصلة ، وفى مجال الأدب فليس هناك عطاء عملاق يستحق اللقب فى ظل وجود رموز أدبية فاقت طه حسين إبداعا ونقدا فى كافة مجالات الأدب كالرواية والشعر وغيرها ، لأن أصحاب العمادة الحقيقيين هم أصحاب المدارس الأدبية نثرا وشعرا مثل محمود تيمور ومحمد حسين هيكل فى الرواية ومثل شوقي والبارودى وحافظ ومطران فى الشعر ومثل العقاد ومحمود شاكر

والرافعى فى النقد والتاريخ الأدبي ، وبالتالى فلقب العمادة هنا يستحقه أكثر المعاصرين والسابقين لطه حسين ناهيك عن أن طه حسين لو نظرنا له نظرة أدبية بحتة فسنجد أنه طعن الأدب العربي طعنة نجلاء تستثير كل غيور على تاريخ الشعر العربي ، وكيف لا وهو الذى شكك فى نسبة الشعر الجاهلى كله لأصحابه وشكك فى نهضته وأصوله ، وهذا ما لم يقل به إلا المستشرقون بدوافعهم المعروفة ، لهذا كان من المثير للسخرية حقيقة أن يمنحوا طه حسين لقب عميد الأدب العربي والرجل نفسه شكك فى التراث الأدبي العربي كله ! لكن القصة ليست قصة إبداع وعطاء من الأصل، وإنما القصة مجملها يدور فى فلك التغريب الذى يمثل فيه طه حسين ثقلا ومكانة ، وأنا هنا أتحدث عن فترة كتابته وترويجه لأفكار المستشرقين.

قـال الشـاب:

أعطنى بعض الأمثلة على ما قالوه .

قـال الكـاتب:

أما ما قاله الشيوعيون والعلمانيون معتنقي الفكر الغربي فهذا منتشر ومعروف لأنهم لم يتدثروا بالإسلام لنشر أقوالهم ، ولكن الكارثة كانت فيما ينسبون أنفسهم للفكر الإسلامى ثم يدسون أفكار العلمانية والوجودية وكلام المستشرقين فى طيات كتبهم، وأكبر هؤلاء هما الأديب أحمد امين صاحب سلسلة فجر الإسلام وضحى الإسلام ويوم الإسلام والتى حشاها بتلك الأفكار التى أخذها عن المستشرقين ، وطه حسين فقد كتب هذا الرجل كتابا سماه (فى الشعر الجاهلى) ثم قرره على طلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة والتى كان عميدا لها فى ذلك الوقت عندما كان لطفي السيد رئيسا لها ، وتسرب الكتاب ومحتواه للصحافة فانقلبت الدنيا رأسا على عقب لأن طه حسين شكك كما قلت فى نسبة الشعر الجاهلى لأصحابه، وانخذ هذا الأمر فرعا ليشكك ويقول فى القرآن الكريم أقوالا شنيعة لا يمكن أن تصدر من مسلم مثل قوله أن آيات القرآن المكية يظهر فيها أثر شدة الصحراء وحياة البداوة ، وأن آيات القرآن المدنية فيها الرقة واللطف النابع من جو المدينة ! وهذه مصيبة قطعا لأن معنى الكلام أن النبي عليه الصلاة والسلام هو مؤلف القرآن وهو الذى تأثر باختلاف البيئة !!

كما أنه أنكر صحة وقوع قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وبرر إنكاره لها بأنه لا يوجد دليل على حدوثها إلا ورودها فى القرآن ! ولست أدرى أين دليل يريده بعد ذلك ؟!

وقد رد علماء الأزهر والمفكرون على كلام طه حسين ردودا عنيفة كان أجملها ما كتبه

الرافعى فى كتابه المتقن (تحت راية القرآن) حيث فند بالأدلة تهافت أقوال طه حسين وأنها مكتوبة بلهجة لا يمكن صدورها عن مسلم ..

وليته اقتصر على ذلك..

بل حاول أن يسلب العرب تاريخهم ونبوغهم فى أشرف مجال نبغوا فيه، ألا وهو التراث الأدبي واللغوى فزعم أن الشعر الجاهلى كله لم ينتجه شعراء العرب فيما قبل الإسلام ، بل هو من وضع وتأليف شعراء المسلمين فى العصر العباسي، والهدف واضح بالطبع وهو أن يسلب الجنس العربي أى دليل على النبوغ فى أى مجال، وبالطبع هذا تصرف حاقد يمكن أن نفهمه من المستشرقين لكن لا يمكن فهمه ممن ينتسب إلينا خاصة وأن الحضارة العربية حضارة بيان لا حضارة بنيان، وقد نزل فيهم القرآن الكريم متحديا إياهم فى مجال تفوقهم وهو اللغة والتعبير، وهذا دليل على وصلوا إليه فى الإنتاج الأدبي ثم كانت الطامة الكبري عندما كشف العلامة محمود شاكر بعد ذلك أن طه حسين لم يكتب هذا الكلام من عنده !!

بل إنه أخذ أفكار الكتاب من المستشرق اليهودى المعروف مرجليوث والتشابه بين نصوص الكتاب وأفكار مرجليوث لا يمكن الزعم بحدوثه مصادفة لأنه بلغ حد التطابق حتى أطلق عليه محمود شاكر عنوانا ساخرا (هذا الكتاب عنوانه الحقيقي يجب أن يكون حاشية طه حسين على متن مرجليوث)[٥٩]

أما بقية كتب طه حسين وبالذات كتاب (الفتنة الكبري) الذى أخرجه فى جزءين فهو من الناحية العلمية محشو بالروايات الضعيفة والمنكرة لأحداث التاريخ الإسلامى وكلها روايات مدسوسة فندها العلماء المحققون ، لأنها منكرة سندا ومتنا ونصيحتى لكل من أراد قراءة التاريخ الإسلامى عدم اللجوء لمصادر التاريخ الأصلية مثل تاريخ الطبري لأنها مكتوبة للمتخصصين حيث أن العلماء الأقدمين كان من طريقتهم إيراد كافة الروايات الصحيحة والضعيفة مع ذكر أسانيدها وترك الترجيح بينها للمحققين ، ولهذا فالقارئ العادى عليه اللجوء لمؤلفات المحققين مثل كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي ، ومؤلفات العديد من المعاصرين مثل كتابات الدكتور محمد أمحزون والدكتور أكرم العمرى والدكتور خالد كبير علال، ومؤلفات الدكتور علال تناسب الشباب الذى لا يصبر على قراءة المراجع الضخمة فبحوثه مختصرة ودسمة وموثقة..

---

(٥٩) يرجى مراجعة كتاب (أباطيل وأسمار) للعلامة محمود شاكر ـ طبعة دار الخانجى بالقاهرة وكذلك كتاب (تحت راية القرآن) ـ مصطفي صادق الرافعى ـ مكتبة مصر .

القصد .. فطه حسين لجأ إلى كتابات المبتدعة وأصحاب العداوات مع الصحابة كما لجأ إلى سقط الروايات ليعطى تصورا رهيبا عن أحداث الفتنة الكبري لم يقع منه شيئ قط [٦٠] وهناك مصيبة يجب الإنتباه إليها، وهى أن السرقات العلمية لأصحاب هذا الإتجاه من كتابات المستشرقين كانت تتم بموافقة أهل الإستشراق الغربي الذين سكتوا عنها فعلا حتى أن أحمد أمين نصح أحد الكُتاب الذى نقل أفكار المستشرقين ونشرها فحوكم بسببها ، فقال له ناصحا بأن ينقل الأفكار ذاتها ولكن لا ينسبها لأحد من أهل الإستشراق حتى لا يستعدى عليه الناس وليجعلها من عند نفسه.

قال الشاب : وماذا عن محمد عبده ؟!

قال الكاتب :

محمد عبده كان شيخا ومفتيا وإماما كبيرا لكن مشكلته الكبري تتمثل فى أنه وارث ومجدد لفكر المعتزلة متأثر بهم لأبعد الحدود فى رؤيته الدينية ،

وثانيا انضمامه لفترة طويلة مع جلال الدين الأفغانى بكل ما يحيط بهذا الرجل من تاريخ مشبوه ، وثالثا عداوته الشديدة مع علماء الأزهر المحافظين أورثته رفضا عنيفا لكل فكر وفقه أهل السنة ، فجنى على نفسه حقيقة عندما ترك الفكر السنى ولجأ إلى أفكار المعتزلة فأحياها من جديد فى تفسيره للقرآن ، والمعتزلة كما هو معروف هى فرقة نشأت فى صدر الإسلام ترفض العمل بالحديث النبوى بل وحتى بنصوص القرآن إذا عارضت العقل ـ فى زعمهم ـ ولهذا تسببوا فى الفتنة الشهيرة فى زمن الخليفة العباسي المأمون المعروفة بفتنة خلق القرآن ، ويمكنك العودة لتفاصيلها فى كتب التاريخ لتعرف أحداثها[٦١] ومحمد عبده اتبع خطى المعتزلة فى إنكاره للعديد من مسلمات ومعجزات النبوة تحت زعم أنها ضد العقل ! فقام بتفسير الطير الأبابيل والحجارة من سجيل بأنها ليست حجارة من جهنم بل هى أمراض وميكروبات خبيثة من التى نعرفها فى عصرنا ولكنها

(٦٠) لمن أراد الروايات الصحيحة فى قصة وأحداث الفتنة الكبري بأكملها ، يرجى مراجعة دراسة الدكتور محمد أمحزون للدكتوراة بعنوان (تحقيق موقف الصحابة من الفتنة) وكذلك كتابات وبحوث د. خالد كبير علال فى نفس الموضوع وهى منشورة بموقع (صيد الفوائد ، وكذلك سلسلة تاريخ الإسلام للدكتور على الصلابي كتاب (الخلافة الراشدة) وكتاب (الدولة الأموية).

(٦١) المعتزلة هى واحدة من كبريات الفرق العقائدية التى ترجمت فلسفة اليونان وكان من رموزها الجاحظ وأحمد بن أبي دؤاد وانتشر نفوذهم فى زمن الخليفة العباسي المأمون وفرض المأمون أفكارهم المنكرة للسنة على الناس بالجبر والقوة واستمرت فتنة خلق القرآن طيلة زمان المأمون والمعتصم والواثق حتى جاء المتوكل فرفع هذه الغمة وكان من أبطال أهل العلم الذين أصروا على رفض أفكار المعتزلة الإمام أحمد ابن حنبل الذى تم سجنه وجلده طيلة هذه الفترة ، وكذلك أحمد بن نصر الخزاعى ومحمد بن نوح وقد لقيا مصرعهما بسبب موقفهما المساند للإمام بن حنبل.

لم تكن مكتشفة فى تاريخ النبوة الأول ! ، كما أنكر وقوع معجزة إنشقاق القمر تحت نفس المبرر ! وبالطبع هذه كلها أفكار مريضة لا تتفق حتى مع العقل الذى يزعمون اتباعه فكيف يمكن لعاقل أن يقول بأن العقل يجب أن يستوعب المعجزات ، كيف يستوعبها وهى معجزة أى أنها أمر خارق للعادة يورده الله تعالى كدليل على نبوة الأنبياء ، فمعنى استيعاب العقل لها أى أنها ممكنة الحدوث لغير الأنبياء وهذا يُبطل مغزى المعجزات من أساسه ،كما أن محمد عبده تورط مع الشيعة وشجع أفكارهم المنحرفة رغم تضاده الفكرى العنيف معهم ولكن للغرابة تبنى بعض أفكارهم ، حتى أنه قام بتحقيق كتاب نهج البلاغة ـ أحد أشهر كتبهم ـ والمنسوب زورا للإمام على بن أبي طالب وهو كتاب بلا إسناد أصلا ويحتوى على طوام وبذاءات بحق الصحابة كما هى عادة كتب الشيعة، وما يثير الجنون أن محمد عبده يقف من المعتقد الشيعى موقفا رافضا لهم من الأساس ومع هذا حقق هذا الكتاب المكذوب من أوله إلى آخره.

قال الشاب: ولكن الإسلام حريص على تفعيل العقل..

قال الكاتب:

بالطبع ما فى ذلك شك وقد ورد التحفيز على التفكر فى القرآن بكثرة كاثرة، ولكن العقل عندنا نحن أهل السنة وظيفته التفكر المنتج ، كالتفكر فى شرع الله وكيفية تطبيقه ومعرفة مقاصد الشريعة فى الحياة البشرية ولأجل ذلك تم تأسيس علم كامل يعتنى بهذا الأمر وهو علم أصول الفقه ، كما أن العقل عندنا وظيفته التفكر فى خلق الله لا التفكر فى ذات الله لنص حديث النبي عليه الصلاة والسلام (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا) وهذا ليس مصادرة لحق العقل فى التفكير بل هو توظيف منهجى للعقل حتى لا يضل إذا خرج عن حدوده المرسومة له، لأن أول أوليات العقلانية هى إدراك حدود العقل البشري باعتباره مخلوقا لله ومن الله، وبالتالى فعندما نقول أن العقل من المستحيل أن يدرك كنه الخالق وذاته وصفاته وأمور الغيب المطلق نكون بهذا قد وظفنا العقل كما ينبغي له، وليس العكس فمخترع الأسلحة النارية مثلا يعلم أنه سلاح مؤثر ولكن لكى يصبح مؤثرا فهو يقيس المدى الذى تبلغه الرصاصات المنطلقة من السلاح لكى تكون مؤثرة بالفعل فلو جاءه واحد يقول له اصنع لى سلاحا ذى مدى مفتوح لأصبح فى نظر صانع السلاح مجنونا ، لأن لكل سلاح له مدى يقف عنده وينعدم تأثيره بعده وكذلك العقل، فهو مخلوق من إبداع الخالق وهو أقوى ما خلق فى علمنا المحدود ،

ولكن مهما بلغت قوته سيظل محدود القدرات .. أما العقل عند المعتزلة وجهلة العلمانية وفلسفة الأديان فهو عقل مطلق لا يصح منعه من التفكر فى أى شيئ وكل شيئ ولا يصح منعه أو حجبه عن أى قضية مهما كان إدراكها مستحيلا ، فضلا على أن العقل عندهم حاكم على النص وليس محكوما بالنص ، وهذه كارثة كفيلة بتضييع الدين لأن المعتزلى يرفض العمل بأى أمر إلهى ما لم يدركه بعقله أولا وبالتالى فأبسط نتيجة لهذا الكلام أن نصوص القرآن والسنة إذا قالت بشيئ ترفضه عقولهم فلا اعتبار عندهم لهذه النصوص مهما بلغت صراحتها وإلزامها !!، ولهذا أنكروا الصراط وأن القرآن كلام الله وأنكروا المعجزات وغير ذلك من المصائب ومصادر التشريع عند المعتزلة تنص صراحة على أن العقل هو المصدر الأول وليس القرآن أو السنة ! ، ولكى تدرك أن علماء السنة كانوا على حق فى تحذيرهم من فلسفة الأديان ، فيكفي أن تعرف أن المعتزلة لم يفعلوا ما فعلوه إلا بسبب إطلاعهم على كتب فلاسفة اليونان التى قاموا بجلبها فى زمن المأمون وترجمتها للعربية فاغتروا بها وتسببوا فى فتنة عظيمة لا زالت قائمة لليوم عند من يتشدق بحرية العقل والفكر.

قال الشـاب: وهل هناك حدود لحرية الفكر ..؟!

اعتدل الكاتب قائلا: كل شيئ فى الدنيا مرسوم بحدود معينة ، أما أن تقول بأن الحرية ليس لها حدود فهذا هو التعريف المثالى للفوضي وليس للحرية ، فالحرية مفهوم له ضوابطه القانونية والشرعية ، أما أن تقول أنك مسلم ملتزم بالكتاب والسنة ولكنك ترفض العمل ببعض الفرائض أو الإقتناع بها تحت زعم رفض عقلك لها فهذا لا يستقيم أبدا .. وإلا فما هو معنى الإسلام؟!

إن كنت مسلما فلابد لك من التسليم لأمر الله الثابت بالقرآن والسنة ، أما إن قلت لا ألتزم به فحينئذ عليك البحث من جديد عن إثبات وجود الخالق من البداية ، ثم إثبات صدق رسالة الإسلام وبعدها ألزم نفسك به..

الأمر الهام فى تلك النقطة أن المعتزلة ـ رغم أنهم دعاة العقل ـ إلا أنهم أول من خالفوا المعقول قبل المنقول ، فقد أقحموا العقل إقحاما ليفكروا فى صفات الخالق وكنه ذاته العلية ، متجاهلين مسلمة عقلية ثابتة وهى أن المصنوع لا يمكن له إدراك حقيقة الصانع وإلا كان شريكا له فى المستوى، بمعنى أن تسليمنا لله تعالى بأنه ليس كمثله شيئ ، فهذا يعنى بالضرورة أن العقل البشري مهما بلغت قدراته سيظل عاجزا عن

إدراك كنه خالقه ، ليس هذا فحسب بل إن العقل البشري سيظل عاجزا حتى عن إدراك بعض أسرار المخلوقات كالروح والزمن ومدى إتساع الكون ، فكيف يمكن للعقل بعد ذلك الإدعاء بقدرته على معرفة صفات الخالق على حقيقتها ؟!

فالإسلام عندما حرّم على العقل الخوض فى تلك المسائل إنما حرمها عليه لأنها معركة طاحنة بلا أدنى مبرر أى أنها خاوية من جوهر الفلسفة القائم على إدراك أسباب التفكير وعدم التفكير فى شيئ عبثي لا نتيجة له ، فلك أن تتصور التناقض الواضح بين من يدعو لفلسفة الإلهيات وبين جوهر الفلسفة ذاته..

وهذا ما حدث مع المعتزلة عندما رفضوا الوقوف عند حد العقل البشري ، فلا هم تمكنوا من إدراك حقيقة أى صفة من صفات الله، ولا هم وقفوا عند حدود النهى فالتزموا بالسنة، وعندما عجزوا تماما عن فك طلاسم الصفات اضطروا إلى القول بنفي الصفات كلية عن الله تعالى ! وهذه النتيجة المضحكة تبدو غريبة جدا على من يدعى العقل والفكر ، فهل إذا عجز العقل عن إدراك حقيقة شيئ معين يكون الحل فى نفي وجوده ؟! هذه فضيحة فكرية بكافة المقاييس، فنحن لا ندرك أى معلومة عن الروح ، ما هى وما طبيعتها ، وهل هى مادية محسوسة يفقدها الإنسان بالموت أم أنها معنوية لا علاقة لها بجسم الإنسان ومادته ، وقد عجز العلماء تماما عن إكتشاف أى فارق بين حالة الميت قبل الموت وبعده ، وبالتالى ووفقا لمنهج المعتزلة فى الصفات يكون الحل فى إنكار وجود الروح !! وبالمثل فالإنسان مهما بلغ علمه التجريبي لن يستطيع الوصول إلى دليل مادى على وجود السماوات السبع ولا كيفية العبور فيما بينها ، فهل يكون الحل بإنكار وجودها طالما نعجز عن استيعابها؟! ولذلك تورط المعتزلة فى كفريات شنيعة لا يمكن لمسلم قبولها، ومن ذلك قولهم بأن القرآن ليس كلام الله وأن الله لا يتكلم !! ، ضاربين عرض الحائط بآيات القرآن الصريحة فى أن الله كلم موسي تكليما ، ولاحظ معى أن القرآن استخدم المفعول المطلق (تكليما) لتوكيد المعنى ، وبرروا ذلك بأن القول بكلام الله معناه تشبيه الخالق بمخلوقاته وهذا كفر ، ونحن نقول نعم إن تشبيه الخالق بمخلوقاته كفر ، ولكن من قال لكم إن كلام الله ككلام البشر ، فالإنسان فيه صفة الحياة ، والله عز وجل حى لا يموت ، فهل نقول أن الله ليس حيا ـ تعالى الله عن ذلك ـ حتى لا نشبهه بمخلوقاته ؟!

قال الشاب مذهولا: ولكن ما هو الداعى لفتح هذه القضايا من الأســاس ضرب

الكاتب على يده مؤيدا وقال : أحسنت .. هذا بالضبط ما نقوله نحن أهل السنة من أن فلسفة الإلهيات كلام فارغ المعنى ولا يقدم نفعا من أى وجه فضلا على كونه كفرا صريحا بإنكار النصوص ، والمعتزلة هم المُثل العليا للعلمانيين اليوم فكل ما لا يفهموه أو يقبلوه من نصوص الشرع يرفضونه على الفور ولو كان واردا فى القرآن ؟!

سأل الشاب : هذا يقودنا للجدل الدائر حول ثبوت السنة وهل هى ثابتة كالقرآن ، وانتقاد البعض لأحاديث البخارى ؟!

قال الكاتب :

هل تعلم أن أحد الأسباب لرواج هذه الأفكار أن العلماء المتخصصون عندما قاموا للرد عليها غفلوا عن حقيقة هامة ، وهى أن هؤلاء الجهلة من المهاجمين لا يفقهون شيئا من علوم الشريعة حتى ترد عليهم استنادا إلى قواعد تلك العلوم ، أضف إلى ذلك أن العوام بل وبعض المثقفين لا يمكنهم استيعاب علم مصطلح الحديث أو قواعد التفسير ، وبالتالى فعلماؤنا يجدون أنفسهم فى مأزق حقيقي عندما يريدون الرد على المهاجمين لأن الجمهور لا يستوعب معظم إجاباتهم

سأل الشاب: ما هو الحل إذا ؟!

قال الكاتب: الحل بسيط للغاية ، لا تناقش هؤلاء الطاعنين إلا مناقشة عقلية بحتة، عن طريق إلزامهم بالتفاصيل فلا تدع لهم الفرصة أبدا للكلام الهلامى العام بل اجبرهم على ذكر أمثلة تطبيقية لما يدعون إليه من فكر ، وعندها سيكتشف الناس تلقائيا أن هؤلاء الداعين للتجديد إنما هم ملاحدة فى الأصل.

قال الشاب : ولكن هذا اتهام خطير ..

عقب الكاتب قائلا :

بدون شك، لكنه اتهام حقيقي مائة فى المائة لمعظم الطاعنين بالسنة هذه الأيام ، وسأثبته لك بسهولة ، ودعنى أسألك ، ألم تسأل نفسك عن سر اتفاق كل أولئك الطاعنين على الصحيحين البخارى ومسلم كهدف استراتيجى للهجوم ، لماذا فى نظرك ركزوا كافة الإتهامات على صحيحى البخارى ومسلم رغم أن الصحيحين لا يحتويان إلا على ٢٠ ٪ تقريبا من السنة الصحيحة العامر بها بقية كتب السنة ، فى نفس الوقت الذى تركوا فيه مئات من كتب الحديث مثل كتب السنن والمعاجم والمستدركات والمسانيد وغيرها ..

السبب الرئيسي لذلك هو أن هدف الهجمات ليس النيل من صحيحى البخارى

ومسلم بل الهدف هو الطعن فى القرآن ، لكن لأنهم يعلمون أنهم لو طعنوا فى القرآن بشكل مباشر لنفر منهم الناس ، لجئوا إلى استخدام الهجوم بالتدريج ، وقد قالها أحد هؤلاء الملاحدة علنا فى ندوة له مع بعض أنصاره تم تسريبها له بالصوت والصورة ، حيث أنه روى كيف بدأ هجومه على البخارى ومسلم بالتأكيد على أنه لا يقصد الطعن فيهما وإنما فقط ينتقد بعض الأحاديث ، ثم طور الهجوم شيئا فشيئا فقال بأن الكتابين بمجملهما لا يثبت فيهم شيئ ، ثم عبر إلى المرحلة التالية ليقول بأن السنة كلها تخالف القرآن ويجب إهمالها وحرقها لأن كل ما فيها أكاذيب ، وجاءت المرحلة الأخيرة ليعبر بهجومه إلى القرآن فيقول صراحة أن آيات القرآن وأحكامه وقتية مرهونة بعصر النبي عليه السلام وحده ، وبالتالى لا محل لها بيننا اليوم ، وأن أوصاف الكفر لا تنطبق على أحد إلا على كفار قريش فقط أما من بعدهم حتى النصاري واليهود والمجوس والذين أشركوا فهم مسلمون من وجهة نظره !!

الشاب : ؟!!!!

أكمل الكاتب:

لماذا تندهش ، هذا الكلام نتيجة طبيعية وقد توقعناها حرفيا ، ولو عدت لكلامى عن هذا الملحد ـ فى بدايات ظهوره ـ ستجد أنى قلت بالنص أنه سيأتى فى يوم قريب ليطعن فى القرآن ، واتهمنا البعض ساعتها بالمبالغة ، لكنها كانت قراءة واقعية للمشهد فقد سبق هذا الملحد ملاحدة على شاكلته اتبعوا نفس الأسلوب ، والهدف من تركيز الهجمة على البخارى ومسلم أنهما أصح كتابين بعد كتاب الله ، ويغتاظ العلمانيون كثيرا من هذا التعبير ويتهمون أهل السنة بتقديس البخارى، بينما هم جهلة لأنه لا يوجد عالم قال عن البخارى أنه معصوم بل لا يوجد عالم قبل ما في صحيح البخارى لأجل جلالة مقام البخارى نفسه، بل جاء قبول الأمة لهذين الكتابين بالذات لأن علماء الأمة على مدار ثمانية قرون من أيام البخارى راجعوا الكتاب وأثبتوا صحة كل حديث ورد فيه على شرط البخارى وألفوا فى شرحه أكثر من ثلثمائة مؤلف ، فالتقدير هنا لإجماع علماء الحديث على صحة الكتابين وليس لأجل البخارى ، والدليل على ذلك أن البخارى كتب كتاب (الأدب المفرد) وحكم العلماء على بعض أحاديثه بالضعف ، فلو كان الإجلال لمقام البخارى فلماذا رفضوا إعتماد الأدب المفرد بكامله بل إن كتب الصحاح التى أخرجها العلماء ليست صحيحى البخارى ومسلم وحدهما بل هناك صحيح ابن خزيمة وصحيح

ابن حبان ورغم جلالة مقام ابن خزيمة وابن حبان إلا أن العلماء المحققون راجعوا أحاديث الكتابين فحكموا على بعضها بالضعف والوضع وبهذا فقد الكتابان أهميتهما فى الإستدلال لأن صاحبيهما اشترطا إيراد الأحاديث الصحيحة فقط لكنهما أخلا بهذا الشرط ، ونفس الوضع مع كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى ، ورغم جلالة مقام الحاكم إلا أنه توفي قبل أن ينقح كتابه مما حدا بالعلماء ـ بعد تحقيق كتابه ـ إلى الحكم على ثلثه تقريبا بالضعف والوضع ونظرا لقيمة كتابي البخارى ومسلم فقد ركز أعداء الدين سهام النقد عليهما لأنك إن نجحت فى هدم الصحيحين لن يكون هناك قيمة لأى كتاب آخر من كتب السنة وبالتالى تضيع السنة كلها والأهم تنهار قواعد علم الحديث والنقل وبالتالى يتسرب الشك إلى القرآن نفسه ، وهذا هو هدفهم.

قال الشاب : وكيف عرفت بأهدافهم ولماذا لم تتصور أنهم مخدوعون أو متأولون ؟!

أجاب الكاتب:

حديثي هنا يخص فئة محددة وهى التى تهاجم لمجرد الهجوم دون استناد أو اعتبار لقواعد علم الحديث ، فالعلماء لم ينتقدوا أبدا أى عالم متخصص فى علم الحديث قام بالإعتراض العلمى على بعض أحاديث البخارى ومسلم بل على العكس رحبوا بهذه الإنتقادات وقاموا بالرد عليها الحجة بالحجة ، والدليل أمام الدليل وكانت الغلبة لكتاب البخارى بل إنه حتى بعض المفكرين من أصحاب الفضل فى الدعوة للإسلام قاموا ـ بحسن نية ـ بإنتقاد بعض أحاديث البخارى من جهة الإسناد أو المتن ، لكنهم كانوا معذورين فى هذا بسبب وجود مبرر قوى لديهم حتى لو كان هذا المبرر غير واقعى ، مثل الإمام الدارقطنى وهو إمام جليل من أئمة السنة ، وقد رد العلماء المتخصصون عليهم أيضا مراعين جلالة مقامهم ، والسبب فى حسن الظن بهؤلاء العلماء هو أنهم علماء أصحاب فضل وسبق فى خدمة علوم الإسلام ، أما هؤلاء المجترئين ففيهم من الصفات ما يقطع بسوء النية المبيّت مثل الجهل الشديد والذى وصل إلى درجة عدم إتقان قراءة نصوص القرآن والسنة بل وأحيانا يخطئون لغويا كما لو كانوا من أطفال المدارس ، ومثل ندائهم المتكرر بترك السنة كلها بالإضافة إلى البذاءة وسوء الأدب الذى يفوق الوصف فمع هؤلاء لا يمكن القول بأنهم حسنى النية ، فلا يوجد مسلم يستطيع أن ينادى بترك السنة أبدا .

قال الشاب : ولماذا ؟!

أجاب الكاتب:

رغم غرابة السؤال سأجيبك ، إذا تركنا السنة فلن يتبقي شيئ من الإسلام فالقرآن والسنة صنوان لا يفترقان ، فتفاصيل كافة العبادات وردت إلينا بالسنة أما صفتها العامة فوردت بالقرآن ، فالقرآن أمر بالصلاة والزكاة والحج ، ولكن كيفية الصلاة والزكاة والحج كلها جاءت بالسنة هذا بالإضافة إلى حقيقة عقلية يغفل عنها الكثيرون أن ظهور الطاعنين والداعين لترك السنة هو فى حد ذاته إثبات لصحة السنة الواردة إلينا ..

عقب الشاب مندهشا : كيف هذا ؟!

أجاب الكاتب: لأنه وببساطة قد ورد فى الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سيأتى قوم من بعده يدعون لترك أقواله ويدعون إلى الإكتفاء بالقرآن وحده ، فحذر منهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وبالتالى فمجرد ظهورهم الفعلى هو دليل كاف على صحة السنة كلها بالإضافة إلى معلومة بديهية تغيب عن أذهان الكثيرين وهى أن هؤلاء الداعين للإكتفاء بالقرآن يخالفون القرآن نفسه فالله عز وجل تعهد بحفظ الإسلام عندما قال فى محكم كتابه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالله عز وجل استخدم لفظ (الذكر) ولم يقل (القرآن) والمقصود بالذكر هنا هو القرآن والسنة معا لأنهما عنصري الإسلام ، وليس القرآن وحده كما هو منتشر ، والدليل العقلي على ذلك أنه لا توجد فائدة فعلية للإسلام لو حفظ الله القرآن ولم يحفظ السنة ، لأنه لا إسلام بغير القرآن والسنة معا ، وبالتالى فعن طريق العقل وحده تستطيع إن تثبت حفظ الله تعالى للدين بشقيه، ودليل عقلي آخر ..

لو أن الله عز وجل لم يحفظ دينه بحفظ القرآن والسنة معا ، لما قامت الحجة الإلهية على أهل الأرض جميعا ـ فى عصور ما بعد النبي عليه السلام ـ وبالتالى إذا لم تقم الحجة على الخلائق فسيسقط التكليف بالتبعية إذ كيف يمكن أن نتصور أن الله عز وجل سيحاسبنا على الفرائض دون أن يكون هناك مصدر متوفر يشرح لنا المطلوب منا فى العبادات وكيفية هذه العبادة؟!

ولاحظ أن الهجمة موجهة لعلم الحديث ـ وليس لكتب الحديث ـ وهو ما يغفل عنه الكثيرون ، فهؤلاء المهاجمين لا يهاجمون الأحاديث بقدر ما يقصدون إلى تسفيه وتحطيم علم الحديث ذاته لأن هذا العلم الجليل الذى انفردت به أمة الإسلام عن سائر الأمم السابقة هو الذى حفظ القرآن والسنة وحتى التاريخ والأشعار والتراجم بل وحتى

الطرائف والفكاهيات ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة كما هى دون تحريف ، وبالطبع هذا إنجاز حضاري يثير غيرة وحقد الغرب والمستشرقين لأن حضارتهم وكتبهم نالتها يد التحريف الفج ، ولا يوجد لديهم إسناد صحيح أو حتى ضعيف بالكتب التى بين أيديهم ، والإنقطاع بين رواية أقدم الأناجيل وبين زمن المسيح عليه السلام تفوق القرون الخمسة من الزمان ، وحاول المستشرقون مرارا هدم قواعد هذا العلم ولكنهم فشلوا ، وجاء أذنابهم اليوم لتحقيق نفس الهدف ألا وهو فصل المسلمين اليوم عن حضارتهم وما يثير الحسرة حقيقة أن مبادئ هذا العلم غائبة إلا عن المتخصصين بينما هى أولى بالتدريس لطلبة المدارس كونها مفخرة المسلمين فى تاريخهم وطريقهم إلى معرفة إنجاز أجدادهم ، فى نفس الوقت الذى يحترم فيه الغرب حضارته المحرفة وكتبه الطافحة بحكايا الأساطير والخرافات ، والعلمانيون العرب حقيقة لا يخجلون إطلاقا ، فالواحد منهم تراه يشمئز إذا استدل أحد بآية فى القرآن أو حديث نبوى أو معركة تاريخية للمسلمين ، وفى نفس الوقت تجدهم يحتفون بأقوال فلاسفة الغرب ويحفظونها عن ظهر قلب ، بل إن دور النشر العربية تحتفي بكتاب المُنجم الغربي الشهير (نوستر ادموس) ويصدقون ما فيه ويطرون موهبته الخارقة ـ على حد زعمهم ـ فى النبوءات التى يزعمون أنها تحققت ، !! ، بينما النبي عليه السلام يقول (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد)

فى نفس الوقت الذى يتركون فيه ويسفهون أحاديث النبي ونبوءات آخر الزمان التى تحققت بنصها وفصها فى عالمنا المعاصر ، أى أنهم يصدقون دجالا مثل نوستمراداموس ويرفضون أحاديثا جاءت بوحى النبي عليه السلام ! ويشيدون بعبقرية الفنان الإيطالى (دافنشي) وينشرون بين الناس غزلا هائلا فى عبقريته التى فاقت عصره وكيف أن نظرياته كانت معجزات تنبأ بها ، فى نفس الوقت الذى يستهجنون وجود الإعجاز العلمى فى القرآن ! ويستغربون أن يحتوى القرآن على إشارات الإعجاز فى مختلف المجالات رغم أن شطرا كبيرا من مسلمى الغرب دخلوا الإسلام بسبب وجود الإعجاز العلمى ، بل وألفوا الكتب فيه ، وأشهر هذه الكتب كتاب العالم الفرنسي موريس بوكاى والذى تمت ترجمته بعنوان (القرآن والإنجيل والعلم) ،

والنظرية العلمية تقول أن وجود الصنعة دليل وجود الصانع ، وبالتالى كيف يمكن تصور عدم وجود إعجاز علمى فى القرآن بينما أمامنا طابور طويل من علماء الغرب أسلموا بسبب دلالات هذا العلم في آيات الله ؟!

فهل يمكنك تصور مدى الخلل النفسي الذى يعيشه هؤلاء القوم ، ينادون بالعقل وهم أول من يخالفون البديهيات ، ويتهمون القرآن والسنة بالخرافة وهم يستضيفون المنجمين فى برامجهم بل ومنهم من يبرمج حياته على نبوءاتهم والأنكى من ذلك أن بعض المذيعات حرصن على توكيد أنهن ضد خرافات التنجيم وأنهم يستضيفون فقط المنجمين الذين يستخدمون علم الفلك فى قراءة الطالع !!!

واللافت للنظر أن بعض الباحثين الغربيين كتبوا عن فضل حضارة العرب على العالم مثل الباحثة الألمانية (زيجريد هونكة) صاحبة كتاب (شمس الإسلام تشرق على الغرب) ، ومؤرخ غربي آخر كتب عن عبقرية خالد ابن الوليد الحربية ، وهناك مؤتمرات علمية سنوية فى الجامعات الغربية تم تخصيصها لدراسات وشخصيات الفكر الإسلامى فهؤلاء العلمانيين أو المتغربين فى بلادنا ، مرضي نفسيين بما يُسمى (احتقار لذات) فهم لا يعترفون ولا يثقون حتى بأنفسهم إلا إذا اعترف بهم الغرب، وحتى فى اللغة، ستجد أن مثقفي العلمانية يفتخر الواحد منهم بإجادته للانجليزية أو الفرنسية ويحشر كلماتها بين ثنايا اللغة العربية، بل وتجد الإعلام يسخر سخرية محرقة ممن يخطئ فى قواعد اللغة الإنجليزية ويتهمونه بالتخلف ، فى نفس الوقت الذى لا يجيد الواحد منهم حتى العامية العربية فضلا عن الفصحى ، ولو تجولت قليلا فى صفحات مواقع التواصل الإجتماعى وفى الصحف ستجد كما مهولا من الأخطاء اللغوية وفى لقاءات الفضائيات لا يستطيع الواحد منهم أن يتحدث بالفصحى لدقائق معدودة دون أن يلحن لحنا فاحشا !

وبعض نجوم المجتمع العربي الآن لا يفرقون حتى بين الحديث النبوى والآية من القرآن ، فقد تكرر كثيرا من هؤلاء رواية حديث على أنه آية قرآنية أو رواية آية ونسبتها للحديث ثم جاءت النكتة الحقيقية أن أحد هؤلاء المتغربين والذى يزعم أنه درس بالأزهر قرأ عنوان كتاب الصحيح للبخارى أن مؤلفه اسمه (جُمعه أبي عبد الله البخارى) ولم يدرك الجاهل الجهول أن عنوان الكتاب مكتوب فيه (جَمعه) ـ أى قام بجمع أحاديث الكتاب ـ أبو عبد الله البخارى ! فقرأ فعل (جمعه) على أنه الإسم الأول للإمام البخارى !! [٦٢]

وبعد هذا يزعمون أمام الناس بأحقيتهم فى انتقاد علماء الأمة وهم لا يجيدون قراءة العربية أصلا.

---

(٦٢) هذه الفضيحة المخزية جاءت على لسان أحدهم ممن يزعم التجديد وينتحل رتبة الدكتوراة فى لقاء تليفزيونى على الهواء ولمزيد من التبجح أصر على قوله أيضا !

قال الشاب: إذا هؤلاء المهاجمين هم من أصحاب الفكر الغربي وفكر الإستشراق الذى يهاجم السنة.

ابتسم الكاتب فى سخرية مجيبا:

دعنا فى البداية قبل مناقشة الفكرة أن ننبه إلى أمر ضرورى أن وصف المفكرين السائرين على درب الإستشراق إنما يخص جيل طه حسين وأحمد أمين لأنهم كانوا بلا شك مفكرين كبار متمكنين من لغتهم وأفكارهم بمعنى أوضح كانوا عمالقة فكر متخصصين يحلو للعلماء أن يجادلوهم ، أما المعاصرون فشيئ آخر تماما فهؤلاء الجهلة المعاصرون لا هم من أصحاب الفكر، ولا العلم وليسوا حتى من أصحاب الشبهات من أعداء الإسلام كالمستشرقين بل هم ببغاوات يرددون فقط ما وجدوه، وعندما حاولوا إبتكار شبهات جديدة من عقولهم جاءوا بكلام ينتزع الضحك من صدور الموتى لفرط جهله ، فمثلا أحد منكرى السنة فى إحدى المنتديات الثقافية دخل فى نقاش لإثبات أن عدم صدق حديث البخارى بزواج النبي عليه الصلاة والسلام من صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، فلما سألناه عن سر اعتراضه على وقوع هذا الزواج وهو أمر متواتر فى السيرة باعتبار صفية من أمهات المؤمنين ، أجاب ـ لا فض فوه ـ بأن البخارى يروى أن صفية رضي الله عنها كانت أسيرة من حرب النبي عليه السلام مع يهود خيبر ، وقد خيرها النبي عليه السلام بين أن تبقي معه بشرط الإسلام وبين أن يطلقها لقومها وتظل على اليهودية ، وذلك لأن صفية كانت بنت زعيمهم ، فاختارت الإسلام رضي الله عنها ، فتزوجها النبي عليه السلام لشرفها وجعل مهرها عتقها من الأسر، وعقّب الرجل قائلا ، أن هذه الحكاية غير منطقية لأن الله عز وجل نهى النبي عليه السلام عن اتخاذ الأسري حتى يثخن فى الأرض ، أى حتى يستقر له أمر الدولة وذلك عقب إطلاق النبي عليه السلام لأسري بدر من قريش ، وحقيقة أنا لم أستوعب قصد الرجل فى بداية الأمر وسألته ما علاقة هذا بذاك ، فأجاب بأن غزو خيبر كانت بعد غزوة بدر وبالتالى فلم يكن للنبي عليه الصلاة والسلام أن يأخذ الأسري من اليهود !!!

لك أن تتصور كيف أن هذا المهرطق ظن أن مقصود الآية هو قتل كافة الأسري حتى النساء والأطفال!!!، ولم يكلف نفسه بقراءة صفحة واحدة من السيرة توضح له هذه الحقيقة البديهية وهى أن جزاء المحاربين بالقتل إنما هو للجنود المقاتلة حاملى السلاح !!، وليس المقصود قطعا بالإثخان أن يقتل النبي فى غزواته كافة الأسري حتى النساء!!

فهذا هو مستوى فكرهم وهذا هو نتاج عقولهم التى يستخدمونها فى نقد عباقرة علماء الأمة، وبالطبع فإن أفراخ العلمانية اليوم تختلف تماما عن المستشرقين ، وتختلف حتى عن الدفعة الأولى من مفكرى التغريب ، حيث كانت لهؤلاء بعض من الحرفية فى طرح الشبهات متقنة قامت على أساس دراسة متعمقة لأصول الإسلام تعبوا واجتهدوا حتى خرجوا بها ليتحدوا بها علماء المسلمين ، وجاء علماء المسلمين عبر العصور ليجعلوا منهم عبرة عندما قاموا بالرد على سائر الشبهات المتقنة بردود علمية منمقة وبارعة للغاية من أيام الإمام ابن حنبل وحتى أيام الشيخ الشعراوى، وما يثير الضحك حقيقة أن بعض المستشرقين ندموا على إثارتهم لتلك الشبهات لأنها حفزت علماء المسلمين على الإبتكار والتفكر فى القرآن والسنة فأسسوا صروحا عظيمة من العلوم شملت علوم الحديث والنقل والتفسير ما كان للمسلمين أن يهتموا بإنشائها لو لم يتعرضوا لضغوط أصحاب الشبهات .. خاصة بعد أن قدم المستشرقون لعلماء المسلمين خدمة لا تقدر بثمن دون أن يقصدوا.

قال الشاب فى فضول: كيف هذا ؟!

ضحك الكاتب رغما عنه:

المستشرقون كانوا من صفوة علماء الغرب وعندما فشلت الحملات الصليبية فى تقويض الإسلام قرروا ـ كما هو معروف ـ هدم الإسلام بالتشكيك فيه وإبراز ما يرونه من نقاط ضعف فى التشريع الإسلامى ، وهذه بالطبع مهمة علمية ثقيلة للغاية ، ولهذا تفرغ الآلاف من علمائهم لدراسة كل ما يتعلق بالإسلام وآدابه وتاريخه وتشريعه ، وقاموا بدراستها كما لو كانوا جامعة أزهر موازية ، ونقلوا مئات الآلاف من المخطوطات وفهرسوها وحققوها وبلغ مجموع مؤلفاتهم فى هذا المجال قرابة ستين ألف كتاب ، واستمرت جهودهم حتى عصرنا الحالى ، ففي أوربا وحدها يوجد فى كل جامعة من جامعاتها أقسام كاملة لدراسة الشريعة والحديث والتاريخ والأدب ونظرا لأنهم محترفون فقد ركزوا جهودهم على دراسة علم الحديث بسبب انبهارهم به من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإدراكهم أن هدم الإسلام لن يكون إلا بالطعن فى أساسيات علوم النقل والإسناد لأنهم إن نجحوا فى ضرب علوم النقل سيصبح هدم الدين سهلا ميسورا بالتشكيك فى صحته ولكن واجهتهم عقبة كبري فى هذا العلم بالذات لأنه أكبر وأضخم علوم الإسلام على الإطلاق ، والإحاطة به والتخصص فيه لم تتسنى حتى لأكابر علمائه عبر العصور

نظرا لاتساع مراجعه ومؤلفاته وفروعه ، فهناك علم المصطلح وعلم الرجال وعلم الناسخ والمنسوخ وكتب طبقات المحدثين وكتب الأحاديث المتخصصة التى روت كل ما ورد فى السنة بمختلف مراتب صحته بخلاف كتب الشروح التى تشرح متون الأحاديث وكتب العلل، حتى الأحاديث الموضوعة جمعها علماء الإسلام فى كتب مستقلة ..

قال الشاب : ولكن لماذا جمعوا الأحاديث الموضوعة وما هى فائدتها ..

قال الكاتب : لها فائدة عظمى وهى حصر هذه الأحاديث فى دواوين مستقلة يسهل على أى مسلم بعدها أن يعرف أصل الحديث المكذوب وسبب حكم العلماء عليه بالوضع ، والأهم من ذلك قطع الطريق تماما على من يريد تأليف ووضع أحاديث مزورة جديدة ولولا وجود كتب الحديث الموضوعة لكان من الممكن إستمرار الوضع حتى اليوم.

قال الشاب فى دهشة : هذا جهد رهيب بالفعل ، ولكن ماذا فعل المستشرقون لتسهيل مهمتهم فى الوصول إلى الأحاديث ؟!

قال الكاتب:

مع اتساع المصنفات لكتب الحديث ، وعدم القدرة على الوصول إلى الأحاديث بحسب الحاجة إليها ، كان الحل عندهم أن يبتكروا وسيلة علمية تعينهم ، ولأجل تسهيل مهمتهم فى الوصول إلى الأحاديث المبثوثة فى آلاف من كتب السنة عكف علماؤهم على تأليف أكبر معجم موسوعى لألفاظ الحديث النبوى ، بمعنى أنهم اخترعوا شيئ شبيه بمحرك البحث (جوجل) يقودهم بسهولة إلى أى حديث يريدونه عبر كلمة واحدة أو عبارة أو حسب الموضوع ، وبهذا تكون مهمتهم البحثية سهلة فكل باحث منهم يريد معالجة موضوع معين أو معرفة أين يقع الحديث الفلانى وأين ورد ما عليه إلا أن يفتح المعجم وسيجد إشارة ترشده إلى موطن هذا الحديث ولكن لان الله سبحانه تعالى يجعل مكر السوء على أهله فقد استخدم علماء المسلمين هذا المعجم ، ليستغله المسلمون أحسن إستغلال فى استكمال تصنيف الحديث النبوى ، أى أننا استخدمنا سلاحهم ضدهم !

قهقه الشاب ضاحكا ومتعجبا : ولكنها ضربة معلم فعلا.

قال الكاتب: بل هى تطبيق عملى للقول المأثور (الباطل جندى من جنود الحق) فقد سخر الله ألد أعداء الإسلام لخدمته ، فهل علمت الفارق الآن بين محترفى الغرب وبين هواة اليوم.

قال الشاب: إذا كيف نجح هؤلاء الهواة فيما فشل فيه كبارهم ؟!

قال الكاتب:

هم لم ينجحوا بفضل الله ، ولعلك تتابع أن العلمانيين فى مصر مثلا فشلوا عبر القرن الماضي كله فى حشد جمهور يتقبل أفكارهم ، لكن فكرة المستشرقين كانت ماكرة فعندما انهزموا فى المعركة الفكرية بيننا وبينهم جاءوا بفكرة جديدة ومؤثرة فأنشئوا حركة التغريب التى بدأت مع القرن الثامن عشر واستمرت حتى القرن العشرين ، وقاموا بتربية جيل جديد من المفكرين فى الغرب ، لكنه جيل من أبناء المسلمين هذه المرة ، فتشربوا منهم الفكر الغربي الناقد لكل ثوابت الإسلام ثم أعادوهم إلينا فى الجامعات ليقوموا بنفس الدور القديم، لأن المسلمون إذا استمعوا للشبهات من مستشرق غير مسلم لن يتأثروا بها أصلا ، أما لو سمعوها من مسلم يزعم أنه مجدد فى الدين فسيلاقي بعض التأثير حتما ومن أغرب الغرائب أن هؤلاء المتغربين رددوا نفس الشبهات القديمة بحذافيرها ، ولكنهم اقتطعوا الشبهات دون أن يذكروا ردود علماء المسلمين عليها ، لأنهم عجزة وفقراء فكريا إلى أقصي درجة ، ولن يمكنك أن تجد شبهة موجودة ضد السنة ومنتشرة فى الإعلام اليوم إلا ولها أصل فى الشبهات القديمة التى ابتدعها المستشرقون ومنقولة نقلا حرفيا..

قال الشـاب فى دهشة : إذا كيف تأثر بها الناس الآن؟!

قال الكـاتب:

السبب الرئيسي أن العصر الحديث ليس بعصر العلم والقراءة ، ولو فتح الناس كتب التراث القديمة لوجدوا العلماء قد ردوا على هذه الشبهات عشرات المرات، وكدليل بسيط أدعوك إلى قراءة كتاب (شرح مختلف الحديث) للعلامة ابن قتيبة وهو من علماء القرن الثالث الهجرى ، وستجد فى هذا الكتاب ثلاثة أرباع الشبهات المثارة حول البخارى اليوم ومعها الردود العلمية كاملة، هذا فضلا على مئات الكتب والمراجع القديمة والحديثة التى ردت على كل ما يمكن أن يخطر ببالك من شبهات ولكن للأسف لا أحد يكلف نفسه عناء البحث أما السبب الثانى للتأثير، فهو أن الإستعمار الغربي لعب دورا هاما فى تجهيل الناس باللغة العربية وبكتب الفكر الإسلامى وسعى إلى تغريب الثقافة تغريبا كاملا ، وعندما رحل الإحتلال الغربي جاءت الأنظمة الجديدة لتكرس نفس المفهوم تحت زعم التحديث والتطوير ، وهذا خلط عجيب لا يوجد إلا فى بلاد العرب، فالذى أفهمه أن مجال التحديث والتطوير يصلح للوسائل ، لكنه لا يصلح للثوابت والأساسيات ، فيمكنك

تحديث وسائل النقل مثلا أو وسائل البناء ، لكن كيف يمكنك تحديث فكرة السكن فى حد ذاتها ، وبالمثل فى المعارف الإنسانية عامة ، والدين خصوصا ، فلك أن تدعو بترك التقليد والجمود وإثراء الفقه بتحقيق مقاصد الشريعة، أما أن تدعو لتحديث الثوابت الدينية فى الأصول والمعتقدات فهذا هو عين التلبيس لأن العقيدة لا تتطور لأنها ليست نتاجا بشريا بل هى وحى ثابت ، والشيئ الوحيد القابل للتطوير هو أحكام الفقه فى مجال الفروع ـ الفروع فقط ـ أما العقيدة والأصول والفرائض فليس فيها مجال للعبث ، فكيف يمكنك تطوير شهادة التوحيد أو فرضية الصوم والصلاة والزكاة مثلا!

وجاء دعم الإعلام المغرض ليزيد من فداحة الأمر حيث تم تغييب علماء الدين القائمين على السنة وفتح الباب أمام المبتدعة، وبهذا لم يجد الناس من يثقون به وينير لهم الطريق ثم جاءت الطامة الكبري حقيقة..

وهى إختراق الإستعمار الغربي لما يُسمى بالحركات الإسلامية، التى انخدع بها معظم أتباعها وتركوها بعد ذلك ، وقد انفضحت هذه الحركات بوثائق الإحتلال البريطانى نفسه والتى أخرجها كثير من المفكرين الإنجليز للنور بعد مرور فترة الحظر لنكتشف أهوالا عن حقيقة العلاقة بين قيادات الحركات الإسلامية وبين الغرب، والتى اخترقها الغرب لتحطيم نزعة المقاومة فى النفوس عن طريق المبدأ الشهير (فرق تسد) ويمكنك مطالعة كتاب (العلاقة بين الأصوليين والغرب) لمؤلفه مارك كورتيز، وكتـــاب (لعبة الشيطان) لروبرت دريفوس لتعرف الدور البريطانى فى صناعة الإرهاب وإلصاقه بالإسلام ، وقد أدت الحركات الإسلامية ـ بجهل أو بتعمد ـ كافة الدور المطلوب منها فى تفتيت الهند بحركة البريلوية والقاديانية، وتفتيت الشرق الأوسط بحركات ما يسمى بالجهاد الإسلامى، ثم تلقفتهم الولايات المتحدة التى ورثت الدور البريطانى لتستخدم هذه التنظيمات فى تحقيق أهدافها بأيدى المسلمين وتوفر على نفسها عناء المعارك والحروب، واليوم لم يعد المسلمون بحاجة إلى وثائق سرية ليعلموا هذه الحقائق ، فنظرة واحدة إلى أنشطة هذه التنظيمات تكشف فى وضوح أن مجال نشاطهم موجه ضد بلاد العرب والمسلمين بينما تقبع إسرائيل فى أمان تام من عملياتهم ، بالإضافة إلى هذه الحركات تميزت هذه الأيام ببجاحة منقطعة النظير..

فرغم أنهم خدعوا الناس عشرات السنين بشعارات تحرير القدس والموت لأمريكا وإسرائيل، وجدناهم يتحالفون علنا مع الولايات المتحدة بل ويستنجدون بها لإعادتهم

لمقعد الحكم، بل إن المرء لتأخذه الدهشة ممن يناصر هذه التنظيمات كيف أنهم لم ينتبهوا إلى أن تجنيد الشباب العربي فى حرب أفغانستان على خلفية أفكار الجهاد، أنشأته الولايات المتحدة وحلفاؤها لضرب السوفيات فى أفغانستان ، والذى يعود لوقائع تلك الفترة سيجد أن أمريكا جندت وسائل إعلامها كافة للإشادة والتعظيم بمن أسمتهم المجاهدون ضد الغزو السوفياتى الملحد ، وزودتهم بالسلاح والمال ، بل ودعمتهم صناعة السينما الأمريكية أيضا ، فإذا شاهدت أفلام الحركة الشهيرة فى تلك الفترة ستجد أن سيلفستر ستالونى أشهر ممثليهم قدم فيلما كاملا عن بطولات المجاهدين العرب فى أفغانستان[٦٢] وورد فى سيناريو الفلم عبارات تثير الذهول إذا قارنتها بعد ذلك بالموقف الأمريكى من نفس التنظيمات عقب إنتهاء دورها المرسوم ..حيث قام الإعلام الأمريكى بعكس الصورة تماما ليصبح المجاهدون هم الإرهابيون ، ولم تتوقف خدماتهم عند هذا الحد بل عاثت تلك التنظيمات فسادا فى بلاد العرب حتى أصبح حال منطقة الشرق الأوسط فى فوضي كاملة ،، وكله بما لا يخالف شرع الله !!!

قال الشـاب:

ولكن كيف يؤيد الغرب التنظيمات المتطرفة فى نفس الوقت الذى يؤيد فيه العلمانيين ؟!

أجـاب الكـاتب:

بل السؤال يجب أن يكون كيف لا يؤيدهم جميعا .. فالجانبان هدفهم واحد فالتنظيمات المتطرفة التى استدعت فكر الخوارج القديم لم يقتصر دورها على التخريب فحسب ، بل كان لها دور فكرى أكثر خطورة ، وهو تشويه وتلبيس فقه الإسلام كله بهذه الأفكار ، وهو دور مرسوم ومتعمد يجهله أغلب أتباع هذه التنظيمات ، والهدف الرئيسي هو تهيئة المناخ والأجواء لتقبل الناس أفكار العلمانيين والملحدين دون أن يستنكروها كما كان فى الماضي ، لأن الناس بعد تجربة الإسلاميين فى الحكم كادوا يكفرون بالإسلام كله لأنهم رأوا من رفع راية الإسلام لمدة ستين عاما يأتى بأفعال لا يجرؤ عليها اليهود.. وكدليل على صدق هذا الكلام، تأمل جرأة وتبجح العلمانيين اليوم فى عرض أفكارهم الإلحادية، وقارن هذا بما كانوا يفعلونه فى الماضي من الحديث المنافق المستتر الذى يصاحبه الكثير من الجبن فقبل تجربة الإسلاميين فى الحكم كان أكبر ما يقدر عليه العلمانيون أن يُلمّحوا ولا يُصرّحوا، وحتى إذا تجرأ أحدهم فصرح بفكرة صادمة تعتدى على أحد الثوابت

(٦٢) فلم رامبو (الجزء الثالث) والطريف أن الفلم تم تصويره كاملا فى إسرائيل فى إطار عملية الدعاية لنشاط المجاهدين ضد السوفيات فى أفغانستان والتى كانت أهم أسباب سقوط الإتحاد السوفياتى وخلو الجو لأمريكا وحلفائها.

كانت الدنيا تنقلب عليه فيتراجع فورا ، ولتتذكر ما قاله فاروق حسنى وزير الثقافة فى عصر مبارك عن الحجاب عندما تحدث عنه ولم يقل أكثر من أن الحجاب ليس فرضا ،

فانطلقت المظاهرات الغاضبة فور إنتشار تصريحه وهاجمه العلماء والدعاة وتفاعل معهم الناس، وعندما أصدر الملحد سيد القمنى كتبه التى ينتقد فيها حقائق القرآن واجه من الهجوم عليه ما جعله يعلن على الملأ فى وقتها اعتزاله الكتابة والبقاء فى بقيته خوفا على نفسه من فتك الناس به ، وعندما اعتدت إحدى الجرائد العلمانية على مقام الصحابة حاصرها المتظاهرون وأشعلوا النار فى مقرها أما بعد تجربة الإسلاميين فى الحكم لك أن تتأمل الساحة الإعلامية وتخبرنى كيف ومن أين وجد العلمانيون آذانا تستمع إليهم وهم يسبون الله والرسول عليه السلام علانية هذه المرة ، ويعلنون عن أفكار لو صرحوا بها قبل أعوام قليلة فقط لرجمهم الناس بالحجارة ، وسل نفسك ما الذى أعاد سيد القمنى لتصدر الشاشات من جديد ليعلن فى كفر صريح أن القرآن كتاب تراثي وتاريخى !! هكذا صراحة ..

وسل نفسك كيف تمكن الملاحدة من الخوض فى ذات الله والدعوة لترك القرآن وهجره ووصف أئمة المسلمين بالإرهابيين رعاة الإرهاب والدعوة لإغلاق الأزهر ؟!!

قال الشاب فى حيرة : ما الذى دفعهم إلى ذلك ؟!

قال الكاتب:

ألا زلت تسأل يا رجل .. لقد زرع العلمانيون الأرض التى مهدها لهم الإسلاميون بفكرهم الشيطانى ، بعد أن نسبوا أفعالهم وجرائمهم للدين وكتب التراث ، ألا ترى شيوخ الخوارج الجدد على شاشات الفضائيات وهم يستدلون على أبشع وأشنع الأفعال بأقوال ينسبونها للقرآن والسنة وعلماء المسلمين ؟!

قال الشاب : وهل هذه الأقوال موجودة فى كتب التراث ؟!

قال الكاتب :

سؤالك هذا دليل دامغ على نجاح المخطط مع الناس، وأنا أعلم أنك تفعله بحسن نية ولهذا سأوضح لك طريقة الإستدلال المنحرفة التى يلجأ إليها الإرهابيون ، هذه الطريقة يا عزيزى هى ذاتها طريقة الخوارج القديمة ، فالخوارج عندما ظهروا فى زمن الإمام على بن أبي طالب وكفروه وكفروا عثمان ابن عفان وكفروا سائر المسلمين كانوا يستدلون بآيات القرآن بعد أن يقتطعوها من سياقها ، فيأخذون الآيات الواردة فى الكفار المحاربين

وينزلونها على عامة المسلمين ! ، مع فصل تلك الآيات عن تخصيص السنة لها بالتفسير ضمن آيات الأحكام والخوارج الجدد يذهبون إلى آيات الجهاد والردع فيوجهونها إلى خصومهم السياسيين، فهل بعد ذلك نقول أن العيب فى آيات القرآن أم أن العيب كل العيب فى الفهم المعوج ؟!

قال الشاب: بل العيب فى أفهامهم طبعا.

قال الكاتب:

بالضبط، وهذا ما يفعلونه فى كتب التراث وأقوال الأئمة، نعم الأقوال والأحكام بعضها موجود فى الفقه ولكنه محصور بالحكم على حالات معينة وفئة محددة تخص الكفار المحاربين، أى أنها لا تخص حتى الكفار المسالمين أو أصحاب الذمة، فيذهب هؤلاء إلى إقتطاعها من سياقها وإنزالها على عامة المسلمين من خصومهم ، هذا بالإضافة إلى أن المهاجمين ينسبون لأئمة الإسلام وللصحابة وقائع وآراء لم تقع منهم أصلا اعتمادا على أن الناس لن ترجع للكتب وحتى لو رجعوا لها فهم يفتقرون إلى الوسائل التى تحدد لهم مفاهيم المصطلحات العلمية ، وهذا أشد ما يلعب به المهاجمون ، فهم يلقون بشبهاتهم فى دقائق بينما يحتاج العلماء لساعات طوال من الشرح لدحض الشبهة ولهذا يحرص الدعاة اليوم على رد الشبهات بالأسلوب العقلي البحت لبيان عوار تلك الأقوال وهو ما يوفر الرد الكافي والشافي بأقل الجهد، أما المثقفون وأولئك الذين يمتلكون صلاحية التتبع العلمى فإن أمامهم عشرات الكتب والمحاضرات على الإنترنت مليئة بالردود العلمية المتخصصة والشيئ الذى يجب أن ننتبه إليه .. أننا لسنا فى حاجة أصلا للدفاع عن الإسلام والسنة أو إثبات براءتهم من تلك الأفعال لأن أى عاقل يفتح أى كتاب فقه أو حديث ويتأمل عقوبة القتل فى الدنيا والآخرة يعلم يقينا موقف الإسلام الحضاري الذى يحرّم حتى قتل الحيوان بلا مقتضي بل إن البخارى روى فى صحيحه أن إمرأة دخلت النار فى قطة ، لك أن تتصور دخلت النار فى قطة قامت بحبسها فلم هى أطعمتها ولا هى تركتها حرة تلتمس الطعام!

أما القتل فحدث ولا حرج فقد جعله الله عز وجل سببا فى الخلود فى النار وهو الذنب الوحيد الذى يخلد صاحبه فى النار بعد الشرك، وعندنا فى الحديث أن حرمة الكعبة نفسها ليست أعظم حرمة عند الله من دم إمرئ مسلم بغير حق وحتى فى قتل غير المسلم الذمى أو المستأمن جعله النبي عليه السلام بمرتبة الخروج من الملة، عندما وصف فاعله

بأنه برئ من ذمة الله ورسوله، وحتى فى ضوابط الحروب مع الكفار المحاربين ستجد أن الفقه الإسلامى كان أول من أسس لفقه معاملة الأسري ومعاملة المدنيين حتى فى بلاد الكفر ، فحرّم الإسلام تحريما قاطعا أن يقتل الجنود أهل بلد لم يحملوا السلاح حتى لو حمل جيشهم السلاح فى مواجهة المسلمين وحرم قتل المرأة والطفل والشيوخ أو تخريب الزروع والبيوت ، بل إنه حرم التمثيل بالجثث ولو كان بجثة الكلب العقور !!

وكان تحريم التمثيل بجثث المحاربين قاعدة غير قابلة للإنتهاك حتى لو تعرض جنود المسلمين لهذا الفعل ، فالنبي عليه الصلاة والسلام عندما قامت قريش بالتمثيل بجثة عمه أسد الله ورسوله عليه السلام وغضب النبي صلي الله عليه وسلم من هذه الوحشية وأقسم على الإنتقام من قريش بنفس الوسيلة ، هنا جاء الوحى ناهيا للنبي عليه الصلاة والسلام من ذلك رغم أن الشهيد هنا هو أسد الله حمزة رضي الله عنه وكل هذه الأحكام التى أرويها لك هى أحكام مجمع عليها من لدن عهد الصحابة إلى يومنا هذا ، ولكن التجهيل المتعمد هو السبب فى هذا التغييب ..

ثم ضحك الكاتب مضيفا :

أما ما يضحك حقيقة ـ وشر البلية ما يضحك ـ أن الغرب وأنصاره من المتغربين العرب ينددون بما يسمونه الإرهاب الإسلامى جنبا إلى جنب مع نداءات نتنياهو وبوش وغيرهم من مجرمى الحرب ، فانظر إلى مدى وصلوا إليه وهم يقفون ضد دينهم صفا واحدا مع ألد أعدائهم ، ويروجون لنفس الأكاذيب غافلين عن حقيقتين صارختين ..

أول هذه الحقائق:أن أفعال الخوارج الجدد هذه ليس لها علاقة بالإسلام والسنة أصلا بل إن أفعالهم على مر التاريخ لم يدفع ثمنها إلا المسلمون وحدهم فمنذ نشأة الخوارج وسلاحهم موجه إلى أهل الإسلام وتركوا أهل الأوثان وكانت بدايتهم مع اغتيال الإمام على رضي الله ثم استمرت فتنتهم عبر التاريخ تريق دماء المسلمين فى كل بلد ظهروا فيه ولم تتوجه سيوفهم ـ ولو لمرة واحدة ـ ضد أعداء الإسلام ، أما الخوارج الجدد فساروا على نفس النهج ولكن بشكل أكثر تبجحا وإحصائية ضحايا الجماعات الإرهابية فى البلاد العربية والإسلامية موجودة وشاهدة، وحتى عمليات الإرهاب التى نفذوها فى دول الغرب تمت برمجتها لتحقيق مصالح السياسة الغربية نفسها ، وتقديم المبرر الكافي لغزو بلاد المسلمين والسيطرة على موارد ثرواتهم، فهؤلاء الخوارج الجدد أشر من أجدادهم ، لأنهم لم يكتفوا بتحريف فهم النصوص بل مدوا يد التحالف مع

العدو الغربي فخضعوا للغرب خضوعا تاما وها هم ينفذون أهدافهم بحذافيرها ، وهذا الأمر أصبح مدعاة للسخرية من فرط وضوحه ، فمثلا تنظيم داعش يعيش أساسا على الدعم الغربي عن طريق بيع البترول من آبار النفط التى سيطر عليها ، والسؤال هنا كيف يتسنى لداعش أن تبيع البترول فى الأسواق العالمية عبر تركيا رغم أن صناعة البترول تحت السيطرة التامة من الشركات الغربية ؟! ، ومن الذى يسدد لداعش هذه المليارات ، وهل تقوم داعش ببيع النفط من تحت أنف القط الأمريكى مثلا ؟!

وراجع هذا الموقف بموقف أمريكا من العراق عندما حاصرت الولايات المتحدة النفط العراقي ولم تسمح بتداوله فى الأسواق العالمية ، وتم هذا بمنتهى البساطة وبمجرد إصدار الأوامر .. والأكثر طرافة من ذلك أن طائرات التحالف الأمريكى التى تحارب الإرهاب فى زعمهم هى ذاتها الطائرات التى تلقي بإمدادات السلاح ـ صدفة ـ إلى مناطق التنظيم الإرهابي ، وصدق أو لا تصدق أن هذا التنظيم بأتباعه الذين تجاوزوا الآلاف يستخدمون أحدث تقنيات السلاح الغربي والسيارات الأمريكية ، وبعد ذلك تقف الولايات المتحدة لتعلن أنها شكلت تحالفا عنتريا من دول الغرب لتقضي على داعش ، ولكنهم أضافوا على استحياء ، أن القضاء على داعش قد يستغرق عشر سنوات على الأقل !! وبالطبع لابد أن نتفهم هذا المنطق لأنهم يرغبون فى استثمار أموالهم فى التنظيم لتحقيق طموحاتهم بأيدى التنظيم فى الفتك بالجيوش العربية عقب إنتهائهم من تدمير سوريا والعراق وليبيا ثانى هذه الحقائق : أن إعلامنا وإعلام الغرب لا يكف ليل نهار عن التنديد بالإرهاب الإسلامى ، هكذا فى تبجح منقطع النظير ، اعتمادا على أن ذاكرة الشعوب العربية كذاكرة السمك تفقد محتواها كل دقيقة ، وإلا هل تريد أن تقنعنى بأن هؤلاء الإعلاميين يجهلون أن الغرب فى أوربا وأمريكا هم أحقر فئات الإرهابيين على وجه الأرض ، والمغول أنفسهم إذا قارناهم بالغرب اليوم فلن تبلغ جرائم المغول عشر معشار الإرهاب الأوربي والأمريكى ..

ونحن عندما نريد أن نحاكم أمة من الأمم ، فعلينا أن نحاكم فكرها الذى تعترف به وتعتنقه ، وليس الفكر المحرف المدسوس عليها ، ثم بعد ذلك نحاكم أفعالهم المبنية على هذا الفكر..

فإذا وضعنا عقيدة أهل الإسلام وأفعالهم فى الصراع بيننا وبينهم وذكرنا تطبيق عقيدتنا لما وجدنا حادثة واحدة مخزية ارتكبها جيش مسلم استنادا إلى عقيدته أو حتى

إستنادا إلى صراعات الحكم ، ولن نكرر ذكر التاريخ بل سنكتفي بفضل الله بشهادة أعدائنا ، والحق ما شهدت به الأعداء ، وتاريخنا فى معاملة الأسري لا زال يدرس فى جامعاتهم ، فإذا قمن بمقارنة ذلك بماضي الغرب وتاريخه وحتى حاضره المعاصر ، فأتحدى أى مؤرخ أن يأتينى بمعركة واحدة أو حرب واحدة شريفة خاضتها جيوش الغرب ضدنا ، وكل ما فعلوه إنما فعلوه استنادا إلى كتبهم المحرفة وفلسفتهم الدموية والعنصرية ، فالذى يتأمل تلمود بنى إسرائيل أو حتى أناجيل الكنيسة الغربية سيجد فيها نصوصا صريحة بإنكار أى قيمة إنسانية فى أى بشري ليس منهم وعقيدة هذه الكتب قائمة على إستعباد سائر الشعوب لصالحهم وحدهم ، ولو قرأت قليلا فى التاريخ الرومانى ستجد أن احتقارهم لإنسانية الفرد امتد حتى إلى أفراد شعوبهم من العوام ، ومعاملة العبيد عندهم معاملة أقل من معاملة الحيوانات ، ويكفي أن تقرأ تاريخ ساحات المسرح الرومانى التى كانت تعقد حفلات المصارعة بين العبيد حتى الموت فى وجود الملوك والجماهير الذين يقضون الساعات الطوال فى متعة المشاهدة لهذه المعارك الدموية ، واستمر التاريخ العنصري الأوربي على هذه الشاكلة حتى ظهور الإسلام وفى معاركهم معنا لم يلتزموا بأى عهد أو معاهدة قطعوها معنا ، فضلا على جرائم الحملات الصليبية التى قتلت آلاف الأسري ولم تعاملهم الخلافة الإسلامية عبر عصورها بنفس المعاملة ، وجاء العصر الحديث الذى يسمونه عصر النهضة والتحضر وإعلاء قيم حقوق الإنسان !! وأنا لم أقرأ فى حياتى تبجحا أكثر من هذا فالتاريخ الأوربي والأمريكى الحديث يتفوق حتى على تاريخهم القديم فى الوحشية ، فالنازية والشيوعية والرأسمالية والفاشية كلها مذاهب دموية قامت استنادا إلى الفلسفة الجديدة التى حلت عندهم محل الأديان ، وقامت المعارك الطاحنة بين الدول الأوربية بسبب هذه العنصرية ، فى حروب ألمانيا وفرنسا فى حرب السبعين ثم الحرب العالمية الأولى ثم الحرب العالمية الثانية وقبلها حروبهم على تقسيم المستعمرات فى إفريقيا وآسيا وكل هذه الحروب بلغ عدد الضحايا فيها ما يفوق مئات الملايين من البشر بخلاف أضعاف هذا الرقم من المصابين ! ولست أدرى أى حقوق إنسان هذى التى يتبجحون بها وقد أبادت فرنسا وألمانيا وإيطاليا والمجر مئات الملايين فى دول إفريقيا لمجرد التوسعات الإقتصادية ، وليتهم قتلوا هؤلاء الضحايا بقتلة حسنة بل مات معظم هؤلاء بأبشع أنواع قنابل الغاز والحرائق ، وسجل أوربا الدموى فى افريقيا لا زال يحفل بمئات الصور التى يتباهى جنودهم فيها بالرءوس المقطوعة

للضحايا وهم يحملونها بين أيديهم !! ناهيك عن مليونى مسلم تمت إبادتهم قتلا وتعذيبا فى البوسنة والهرسك على مرأى ومسمع من الحضارة الأوربية وتحت رعايتها ومن أراد الزيادة والتوثيق فى هذا الملف فسأكتفي بمصدر بسيط ومتاح بعيدا عن المراجع الثقال ، قوموا فقط بمراجعة برنامج (العلم والإيمان) للدكتور مصطفي محمود رحمه الله، فى حلقة من البرنامج بعنوان (الجلادون) ، ففيها مئات الحوادث والوثائق والصور التى تفضح إدعاءات الحضارة التى يتشدق بها الغرب ، ويوضح للناس من هم الإرهابيون حقا وحتى فى التاريخ الحديث والقريب، قامت الولايات المتحدة كدولة على أنقاض وجثث شعب بأكمله هم الهنود الأحمر تمت إبادتهم تماما بما يعادل ١٠٠ مليون هندى أحمر ليخلو الجو لعصابات أمريكا لإنشاء دولتهم الحديثة، كما تسببت الولايات المتحدة فى مقتل ٢ مليون فيتنامى لمجرد إثبات العنترية أمام الإتحاد السوفياتى فى حرب لا زال نجوم المجتمع الأمريكى يعتبرونها وصمة عار لا تمحى، وقد قتلت الولايات المتحدة الملايين فى أفغانسان والعراق وبلا أدنى مبرر واقعى وبلغ التبجح بجورج بوش الإبن أن يخرج بعدها معتذرا بأن أجهزة معلوماته قد أخطأت التقدير عند احتلال العراق ، هذا بخلاف الحصار الإقتصادى الذى دمر المدنيين العراقيين فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل استمرت طيلة السنوات فيما قبل الإحتلال الأخير بخلاف جرائم الدماء المهولة والغير متصورة للأمريكيين والإنجليز فى الهند والشرق الأقصي وكذلك فى أمريكا الجنوبية وفى أستراليا ، وكل تلك الجرائم تمت بمبرر الوحشية المحض حتى لو لم يكن لها أدنى منفعة سياسية أو اقتصادية !!

فعندما أرادت أمريكا إثبات قوتها العظمى فى العالم قامت باستخدام القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما دون أى مبرر عسكري أصلا ، لأن اليابان كانت على وشك الإستسلام الفعلى ، ومع هذا استخدمت أمريكا القنبلة ليتبخر مائة ألف إنسان فى لحظة واحدة قبل حتى أن يدركوا ما أصابهم !!

وليت الأمر اقتصر على هذا ..

فبعد إفناء هيروشيما جاء العسكريون الأمريكيون إلى رئيسهم ترومان ليطلبوا موافقته على استخدام قنبلة أخرى لمحو مدينة نجازاكى ، وعندما سألهم ترومان عن السبب أجاب العلماء بأن قنبلتهم الذرية الأولى كانت إنشطارية والقنبلة الثانية إندماجية وهم يرغبون فى تجربة تأثيرها هى الأخرى كما جربوا أختها !!

هل يمكن لإنسان أو حتى شيطان أن يستوعب هذه الوحشية ، والمصيبة أن رئيسهم وافقهم على اختبار القنبلة الأخرى لمحو مائة ألف بشري آخر لمجرد قياس الفارق بين تأثير القنبلتين !!

صمت الشاب لحظة ليستوعب ما قيل له ثم عقب قائلا :

لقد كنت أظن أن القنابل النووية هى التى حسمت الحرب !

أجاب الكاتب :

كلا بالطبع فالحرب كانت محسومة بعد اختراق السوفيات لألمانيا ، وانهيار الجيش اليابانى ، وسقوط إيطاليا فى قبضة الحلفاء ، ولا يوجد أى مبرر عسكري لاستخدام هذا السلاح الرهيب فعليا ، فهل استوعبت الآن كمية التناقض التى يقع فيها المتغربون وهم يشيدون بالغرب لاحترامه حقوق الإنسان ؟!

حقوق الإنسان لديهم إنما هى شماعة اختراق سياسي لا معنى لها على الإطلاق حتى فى بلادهم نفسها ، فالذى لا يعلمه أكثر الناس أن الأمريكيين بعد أن أبادوا الهنود الحمر قاموا بأسر الأفارقة وشحنهم فى سفن نقل الحيوانات للولايات المتحدة وفى ظروف بالغة القسوة تسببت فى هلاك أكثر من نصف أعداد الضحايا المنقولين ، وعندما تم نقلهم تم استخدامهم بالسخرة التى كانت سببا فى إنشاء الإمبراطورية الإقتصادية الضخمة للأمريكان وبعدها وعلى الرغم من تغنى الأمريكان والأوربيين بحقوق الإنسان ظل الأفارقة والزنوج يعاملون معاملة العبيد وبرعاية الدولة دون ضمان لأى حقوق من أى نوع حتى تم إلغاء الرق ولكن ظل الزنوج بغير حقوق سياسية على الإطلاق ، واستمرت هذه المعاملة حتى مطلع الستينات !!

ولك أن تتخيل كيف أن الأمريكيين حتى منتصف القرن العشرين كانت لديهم شرعنة الاستعباد الكامل دون أدنى ضمان إنسانى ، وعندما قامت حركة التمرد الناجحة التى قادها الزنجى المسلم مالكوم اكس وتضامن معه الزنوج اضطر الأمريكيون لإلغاء تلك المعاملة ومحاولة الإقرار ببعض الحقوق لهم كمواطنين ، ولكن بعد أن قاموا باغتيال مالكوم إكس نفسه بالطبع ، وهو إجراء مفهوم وسياسة معروفة ..

ورغم هذا.. إلا أن عنصرية الغرب والرجل الأبيض لا زالت تحكم الأوربيين والأمريكيين بشكل فادح وخاصة فى الولايات المتحدة ، وقد أشار محمد حسنين هيكل إلى ذلك بأن تمثيلية تصعيد أوباما للرياسة جاءت كسياسة تقليدية للولايات المتحدة التى

تميل للغرائب والمظهريات ، وأن التفرقة العنصرية فى أمريكا متجذرة حتى الأعماق وفى شرايين المجتمع بل وتعبر عنها الكتابات الأدبية أيضا والولايات المتحدة تُصدّر لأى دولة برامج حقوق الإنسان كورقة ضغط على تلك الدول ، لكن عندما يتعلق الأمر بالمسلمين بالذات .. ، ها قد رأيت بنفسك كيف أن أمريكا أبادت مليون طفل عراقي فى حصار العراق إقتصاديا ، وكيف استخدمت اليورانيوم المنضب لإخضاع ولايات العراق المتمردة لتصبح العراق صاحبة أكبر نسبة تشوهات جنينية فى العالم الآن وكل هذا فى سبيل إعلاء القوة والسيطرة وإثبات القهر ليس إلا والمسلمون فى سائر أنحاء العالم تعرضوا لمذابح على الهوية ، لم يتعرض لمثلها فئة من الناس عبر التاريخ إلا المسيحيين فى عهد الرومان ، وتأمل كم من المسلمين تم حرقهم وقتلهم فى البوسنة والهرسك وفى إقليم الإيجور وفى بورما ومن قبل هذا فى فظائع محاكم التفتيش الأسبانية وفى الإتحاد السوفياتى السابق فى الجمهوريات الإسلامية التى حاولت الإستقلال ، وعشرات المواطن ..

ولاحظ أننى لم أذكر لك أفاعيل إسرائيل عبر ستين عاما كاملة من الإرهاب المنظم ، باعتبارها مشتهرة بيننا ولا تحتاج ذكرا أو توثيقا ثم بعد ذلك يخرج الغرب علينا بما يسميه الحرب على الإرهاب الإسلامى !! ولكى تكتمل الملهاة الساخرة ينضم لحشد المحرضين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي ،، وأنا والله لا أستنكر ما يفعله الغرب أو اليهود ، فهم يعملون لمصالحهم ولا ننتظر منهم إنصافا حتى لو كنا نحن قد أنصفناهم أيام كانت الدنيا لنا ، لكن المثير للخزى والعار أن تجد إعلامنا المبجل يمشي على نفس الموجة مع أحقر أهل الأرض وبدلا من أن يدافع عن حضارته وكرامته ودينه يشارك أعداءه فى إهالة التراب عليها !

سأل الشاب فى حيرة مصدومة :

ولكن هل هؤلاء الإعلاميين لا يعلمون بتلك الحقائق ؟!

قال الكاتب:

هل تحاول أن تخدع نفسك أم تخدعنى ، يا صديقي إن إرهاب الغرب وماضيه ضد الإسلام والمسلمين منقوش حتى فى ذاكرة العوام ، ودعنى أسألك أنت .. ألم تعلم على الأقل بجرائم الولايات المتحدة ضدنا.

قـال الشـاب: نعم وعشنا بعضها أيضا.

أجاب الكاتب :

إذا كيف تأثرت بدعاوى الإرهاب التى يطلقها العملاء على ماضينا وحضارتنا ؟!

السبب واضح كالشمس ، فالكذب عند تكراره ليل نهار فى ألف وسيلة إعلامية يكتسب من الشهرة ما يجعله أشبه بالمسلمات ، ولأن الغرب صناعته الكبري هى الإعلام فهو الذى يملك أن يبسط أى معلومة يريدها عبر نشرها بكثافة فى آلاف الفضائيات ، فالإعلام شيطان العصر الحقيقي ، ولو أنك تأملت إعلامنا العربي وما فعله فى السنوات الأربعين الأخيرة ستجد أن تمكن من تغيير تركيبة المجتمع وتحطيم بعض الثوابت لديه باستخدام الأفلام والبرامج الثقافية واللقاءات المتلفزة ، فالإعلام التليفزيونى لا يمكن مقارنة تأثيره بالكتابة والكتب ، لأن الشاشات تدخل فى كل بيت ، ولهذا فإن إذا تأملت مقاييس الشهرة مثلا فى فترة حكم مبارك بالذات ، ستجدها قد انقلبت رأسا على عقب فالممثلون والمطربون وغيرهم من الشخصيات المعدودة ضمن المتردية والنطيحة وما أكل السبع ، هؤلاء هم نجوم المجتمع رغم أنه منذ أقل من نصف قرن كان العلماء والدعاة وأصحاب الفكر والعلماء هو الصفوة والنخبة .. والإعلام فى الألفية الجديدة لم يعد شيطانا فحسب بل تفوق عليه ، بل إننى أشك أن إبليس قد اعتزل النشاط فى بلادنا بعد ظهور الفضائيات !

ضحك الشاب مستفهما : وما الذى يختلف به إعلام الفضائيات عن القنوات القديمة ؟

قال الكاتب:

فارق ضخم جدا، وأضرار الإعلام فى الماضي كانت تروج للتغريب نعم، ولكن التأثير كان محدودا بالإضافة إلى أن الساحة كانت مفتوحة لأهل الفكر الإسلامى للرد ودحض الشبهات ، وعندما كان الإعلام تحت سيطرة الدولة لم تكن الشعوب تعانى إلا من دكتاتورية القمع وسيطرة الإعلام الرسمى على الأخبار ، وكانوا يتغلبون على ذلك بسماع الإذاعات الأجنبية المفتوحة على الراديو ، وفيما عدا ذلك كانت برامج وأفلام ومسلسلات التليفزيون مقسومة مناصفة بين تيار الفكر المحترم المتمثل فى البرامج الدينية التى يقدمها كبار العلماء والثقافة التى يقدمها المفكرون، ومسلسلات التاريخ الإسلامى والعربي، وفى الجانب الآخر كان الجانب العلمانى يمارس بعض نشاطه فى نشر فكر التغريب ولكن بمدى محدود وعام ليس فيه تفاصيل ، ومعدوم التأثير على الجماهير ، وحتى فى المجال الفنى لا زال النقاد يطلقون عليه زمن الفن الجميل فى عصر عمالقة

الغناء والموسيقا والشعر والأدب والرواية ، فالسينما التى كان ينتقد دورها العلماء قديما كانت قائمة على روايات وأعمال كبار رجال الأدب أى أنها تحمل الفكر ابتداء بغض النظر عن إختلافنا أو اتفاقنا لما تروجه ، أما اليوم فلا تعليق !!!

فعندما تمكنت مافيا رجال الأعمال من إنشاء الفضائيات لم يتحرر الإعلام كما يروج البعض ، بل صار مُقنّعا يرتدى ثوب الحرية بينما هو محكوم بالسياسة المرسومة لصالح أصحاب القنوات والصحف ، ويعتمد على مصالح أشرس فئة فى المجتمع وهى فئة رجال المال الحرام، وهؤلاء لا تحكمهم إلا المصلحة ، فبدلا من البيانات الرسمية الرتيبة فى تليفزيونات الدولة أصبح البديل المطابق لها النفاق الفج والتزوير الفاجر للحقائق السياسية، وفوق هذا وذاك سادت دعارة الإعلام فى كل شئ فانقلبت القنوات إلى ملاهى ليلية فعليا ـ ليس على مستوى الأخلاق فحسب ـ بل على مستوى الفكر نفسه فبدلا من أن تتم صناعة الأفلام والمسلسلات للشخصيات التاريخية أو حتى السياسية فوجئنا بعشرات المسلسلات والأفلام التى تروى قصص الممثلين والراقصات فضلا على البرامج التى تتناول بذاءاتهم وفضائحهم وفى المجال الدينى جاهر المتغربون بأفكارهم علانية وبشكل منظم ومستمر وتم استبعاد كل أهل العلم والتخصص فى المجال الدينى تحديدا ، لتفتح القنوات الفضائية مجالها المتسع لكل من أراد الطعن فى الثوابت سواء بغرض الشهرة أو بغرض أداء الدور المرسوم له !

فانقلب الحال رأسا على عقب ، وبدلا من أن يخجل أهل الباطل من باطلهم أصبح أهل الحق يستحون من المجاهرة به خوفا من إتهامات الإرهاب والتخلف ، حتى صدقت فينا المقولة المأثورة التى قالها أحد الصحابة (سيأتى زمان على الأمة يعير فيه المؤمن بإيمانه كما يعير العاصي اليوم بعصيانه) وتعدد خصوم الدين وتعددت أهدافهم ، فلم يعد الهدف التغريبي وحده على الساحة ..

تساءل الشاب : ما الأهداف الأخرى إذا ؟!

قال الكاتب:

الفساد الأخلاقي المقنن والمشرعن، ففئة رجال الأعمال ومن يرتبط بها أصبحوا ينضمون للعلمانيين فى نداءات التجديد والتنوير سعيا لاكتساب شرعية المجتمع لحياتهم المنحرفة ، والتحلل من كل قيمة أخلاقية ، فبعد أن كان هؤلاء المفضوحون يمارسون أفعالهم فى الخفاء خوفا من استنكار المجتمع ، أصبحوا يمارسونها علنا ، ثم تطور الأمر

إلى محاولة فرضها على المجتمع فرضا لتصبح عرفا مقبولا ،وفى زحمة الحرب على الإرهاب خرج المذيعون على الفضائيات ليستضيفوا من يدعو لاحترام حقوق الشواذ من الجنسين ، ووصفهم أحد المذيعين بالعبقرية وفسر ذلك بأن الشواذ ليس لدهم عقد جنسية ولهذا ينطلق إبداعهم ، ودعت صحفية أخرى إلى ممارسة حق المساكنة بشكل مشروع فى المجتمع ، أى أن يتخذ كل شاب وشابه سكنا مشتركا بلا أى علاقة زواج ، وطرح آخر فكرة أن يجرب المخطوبون العلاقة الجنسية قبل الزواج حتى لا تحدث مشكلات مستقبلية بينهم فيما بعد !!

ابتسم الشاب رغما عنه قائلا:

سمعت وقرأت كل هذا ..

عقب الكاتب قائلا:

وهذه الدعوات الفاجرة انطلقت برعاية إعلام الإثارة الذى يسمح لهؤلاء الخنازير بالظهور ويدعم انتشار آرائهم فضلا على إنتشار الإلحاد، وهؤلاء الفئة قال عنهم الدكتور مصطفي محمود سابقا (إن أصحاب هذه الدعوات يريدون من مجتمعنا المسلم أن يصبح مثل جبلاية القرود كل منهم مهتم بأعضائه التناسلية فقط !!)

قال الشاب : وهم يرددون هذا تحت زعم الحرية وقبول الآخر ..

عقب الكاتب:

هذا القول ينطبق عليه المثل العربي الشهير (شنشنة نعرفها من أخزم) ، وكل الذين نادوا بحرية الرأى وقبول الآخر واتخذوها شعارا لهم عبر التاريخ إعلم أنهم أكثر نازية من هتلر وأكثر فاشية من موسولينى ، فالمؤمنون بالحرية يمارسونها فعليا ولا يتخذونها شعارا يرددونه ليل نهار ، والعلمانيون يستخدمون الحرية فقط فى مواجهتنا أما إذا طلبناهم بالإلتزام بها نحونا فعندئذ تنقلب المفاهيم رأسا على عقب ويكون المنع والمصادرة والتضييق ،وخذ عندك بعض الأمثلة ، فوزارة الثقافة فى عهد مبارك كانت تخرج صحيفة باسم جريدة القاهرة ، وهى جريدة تهتم بالفكر، وقد استخدمها العلمانيون ـ مع كافة أدوات وزارة الثقافة ـ للترويج فقط لأفكارهم وما يتفق معها، رغم أنهم يضعون شعارا للجريدة يقول (الحرية الحقيقية هى الدعوة لكل فكر ولكل مذهب) !!

ورغم هذا تم منع كافة الكُتاب والمفكرين والمؤرخين المتمسكين بالثقافة الإسلامية بل إنهم منعوا إصدار أى مطبوعات لأى عالم أو مفكر سنى عبر التاريخ وفى المقابل

طبعوا آلاف النسخ ـ من أموال دافعى الضرائب ـ لكل كتابات أصحاب البدع والفلاسفة والزنادقة وعتاة الصوفية وكتب الفكر الشيعى ومؤلفات المعتزلة ، إلى جوار نشاطهم الأصلي فى الترويج للشيوعية والعلمانية ، وهذا يقودنا إلى نقطة بالغة الأهمية،،

تساءل الشاب: ما هى ؟!

قال الكاتب :

أن المستهدف الحقيقي لهؤلاء الناس هو ميراث الإسلام والسنة المعتقد الأصلي الذى يدين به عامة المسلمين عبر التاريخ ، بالتحديد علماء السنة وميراثهم المعتمد على القرآن والحديث النبوى الصحيح ، ولهذا أبرز العلمانيون أنيابهم على كتب السنة وسمحوا فى نفس الوقت لكل أصحاب البدع والفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة بنشر كتبهم وميراثهم وإحيائه ، رغم أن هذا يتناقض ـ كما هو مفترض ـ مع دعوتهم لترك الأديان لكنه يتكامل تماما مع الهدف الحقيقي ألا وهو هدم الإسلام الصحيح سواء بأفكار العلمانية والإلحاد أو استخدام التيارات البدعية المنشقة على صحيح الدين وقد مارسوا هذا بجرأة منقطعة النظير، ففي نفس الوقت الذى ينتقدون فيه فكر السنة ويتهمونه بالخرافة والدجل، نجدهم يُعظمون كتب الصوفية والشيعة ـ وهم أعتى فرق الإسلام فى ترويج الخرافات ـ وصدق أو لا تصدق أن وزارة الثقافة قامت بطباعة كتب فيلسوف الصوفية محيي الدين ابن عربي عشرات الطبعات وفى مجلدات ضخمة وبأسعار زهيدة ، رغم أن هذه الكتب فيها من الكفريات الشنيعة ما لا يخطر على بال ككتاب الفتوحات المكية وكتاب فصوص الحكم الذى قال عنه الإمام الذهبي أن هذا الكتاب لو لم يكن فيه كفر ، فليس هناك كفر على وجه الأرض ! ، بالإضافة إلى كتب الفلاسفة المطعون فيها كرسائل إخوان الصفا .. كما قاموا بطباعة كتب التاريخ الإسلامى المطعون فيها، مثل تاريخ المسعودى والفهرست لابن النديم وكلها كتب حكم عليها العلماء حكما قاطعا بالسقوط لأن معظمها ليست له أسانيد والذى له أسانيد منها اعتمد فى رواياته على رواة الشيعة المطعون فيهم ، هذا مع أن مخازن وزارة الثقافة تحتوى كافة مخطوطات التاريخ الإسلامى التى كتبها كبار المحدثين كابن كثير والطبري وخليفة بن خياط وابن شبه وغيرهم .. وزادت الطامة بطباعة بعض الكتاب التراث الإسلامى وهى مزدانة بتحقيق وتعليقات المستشرقين !! ، وكأنه قد ضاقت بهم الأرض فلم يجدوا إلا المستشرقين لتحقيق الكتب والمخطوطات العربية !

وأنا لا أنكر أن وزارة الثقافة قد أصدرت جانبا من الفكر الإسلامى الصحيح كتاريخ ابن خلدون ، والطبقات الكبري لابن سعد ، لكن هذه الكتب تعد من قبيل النذر اليسير أمام جحافل المطبوعات المسممة ، وكانت حجتهم الجاهزة والمعلبة ، أن الوزارة مهمتها نشر كافة الكتب من كافة الإتجاهات ، وبغض النظر عن أنهم لم يلتزموا بهذا المبدأ أصلا وانحازوا لكتب البدع ، فإن هذا المبدأ بالغ الخطورة لأن الكتب المسممة يجب أن تظل فى إطار البحث الجامعى وبين أيدى العلماء وطلبة العلم ، لا أن يتم إصدارها بطبعات متكررة ونشرها بين آحاد الناس وهى تحوى الطوام العقائدية التى تشكك فى أصل العقيدة بل إنهم ارتكبوا جريمة ثقافية وفضيحة فكرية متكاملة الأركان عندما قاموا بطباعة كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب زورا وبهتانا إلى إمام من كبار أئمة السنة وهو ابن قتيبة الدينورى، طبعته وزارة الثقافة ضمن سلاسلها وعليه اسم الإمام ابن قتيبة رغم أن الكتاب مدسوس عليه بإجماع أهل النقل والتحقيق.

تساءل الشاب : كيف يمكن نسبة كتاب هذا الكتاب المزور لغير مؤلفه ..

أجاب الكاتب:

بدون أن أغرقك فى تفاصيل علم الحديث وجريا على قاعدتنا فى هذا الحوار بالإعتماد على الحوار العقلي، دعنى أسألك ماذا لو أننى طبعت كتابا بعنوان (إباحة الزنا) وأصدرته فى الأسواق وعليه مثلا اسم الشيخ الشعراوى وملأت الكتاب بأدلة ملفقة على إباحة الزنا ، ما الذى سيحدث ؟!

قال الشاب:

تنقلب الدنيا طبعا ويتهمونك بالتزوير على الإمام الراحل ..

قال الكاتب: وما هو دليلهم على أن الشعراوى لم يكتب هذا الكلام ؟!

قال الشاب مندهشا : ألف دليل ، فكُتب الشعراوى معروفة للناس كلها ، فضلا على أن الرجل إمام من أئمة الدين وآراؤه فى تفسيره معلنة وتخالف محتوى الكتاب

قال الكاتب: ماذا لو أننى دافعت بأن الشعراوى كتب الكتاب فعلا ولكنه أخفاه وجئت أنا فأظهرته للناس.

أجاب الشاب: بكل بساطة سيطالبونك بمخطوطة الكتاب بخط الشعراوى.

ابتسم الكاتب قائلا: بالضبط، وهذا هو مربط الفرس، ولتعلم أن العلماء فى الماضي كانت لهم ضوابط أشد من ضوابط اليوم للكتب المنسوبة للعلماء، فنحن فى

عصرنا هذا نعتمد على التوقيع وتسجيل الكتاب بدار الكتب والنسخ المخطوطة للكتاب بخط الكاتب ، وكل هذا من الممكن افتعاله اليوم ببعض الإتقان والمهارة أما قديما فلأنهم كانوا يشتغلون بضوابط علم الحديث ، فلم يكونوا يعترفون أصلا بأى مخطوطة كتاب عليها اسم أحد العلماء إلا إذا طبقوا عليها شروطا من المستحيل افتعالها ، فمثلا لابد أن تكون المخطوطة من كتابة أحد الرواة المأمونين الذين أخذوا عن الشيخ المنسوب له الكتاب ، أى لابد من توافر إجازة من الشيخ للراوى برواية الكتاب ، وهذه الإجازة يمنحها الشيخ لتلاميذه علنا حتى يعتد بها ، فضلا على ذلك يجب أن يكون الكتاب معروفا عن الشيخ نفسه ، فلو جاء حتى أحد تلامذته بمخطوطة لكتاب غير معروف عن الشيخ عند أهل التحقيق فلا يعتد بالمخطوطة أصلا ، وفوق كل هذا يجب أن تتطابق المخطوطة الجديدة مع محتوى مخطوطات نفس الكتاب عند بقية التلاميذ وإلا رفضها العلماء ، ولهذا فكتب العلماء وصلت إلينا من عشرات المصادر المختلفة بعشرات المخطوطات المتطابقة وكل مخطوطة كتبها واحد من تلاميذ هذا العالم أو ذاك.

فهل تتخيل مدى الدقة ؟!

قال الشاب مستغربا : هل يعنى هذا أن الكتابة والتدوين لم تكن هى الأساس فى نقل الكتب ؟!

أجاب الكاتب:

نعم بالطبع فالتدوين كان وسيلة لنشر الكتاب ومُدارسته ، ولكن التدوين لم يكن طريقة يعتد بها للنقل أو الإثبات بغير الإسناد، فأمة الإسلام معروفة بأنها أمة إسناد وبهذه الطريقة ذاتها تم نقل القرآن والسنة والتاريخ، وهذا لا يعنى أن الكتابة ليست أساسية، فهى أساسية فى المحتوى الموثوق منه أما فى عملية النقل فالعبرة بالإسناد، فالعلماء لم يكونوا يحفظون الكتب حفظا ويستغنوا عن الكتابة ، بل كان الشيوخ يعتمدون على الكتب بعد انتشار عصر التدوين ولكن لابد للكتاب من إسناد مذكور فى مقدمته ومتصل للعالم المؤلف وبرواية واحد من أقرانه فى عصره ، هذا فيما يخص كتب العلوم المختلفة والفنون والآداب أما القرآن والسنة فالدقة كانت أكثر من ذلك بمراحل ، حيث كانت محتويات الكتب محفوظة بالفعل فى صدور العلماء والتلاميذ ، ولو اعتمدت الأمة على الكتابة وحدها لما وصل القرآن إلينا سالما ، لأن تشكيل وضبط القرآن لم يتم إلا فى عصر الطباعة ، والتنقيط تم فى عهد الحجاج على يد نصر بن عاصم، فلو لم يكن

القرآن منقولا بالحفظ حرفا حرفا لوقع التحريف والتصحيف نظرا لإختلاف الحروف والتشكيل ، ولهذا قال العلماء (لا تأخذ العلم من صُحفي ـ من يعتمد على الصحائف ـ ولا تأخذ القرآن من مصحفي ـ أى يعتمد على القراءة من المصحف وليس القراءة على الشيوخ) واستمر الأمر كذلك حتى فى عصرنا الحالى ، فكل من أراد حفظ القرآن يلجأ إلى شيوخ القراءات ويستمع منهم لطرق قراءة الآيات كما وردت سماعا بالإسناد ، ومعاهد القراءات المنتشرة فى العلم الإسلامى لا زالت إلى اليوم تمنح إجازة بالأسانيد المتصلة لكل من يحفظ القرآن فى مدارسها ، ويكون السند متصلا من الشيخ المحفظ حتى يصل السند إلى أحد كبار أئمة القراءات ثم إلى الصحابة ثم إلى النبي عليه السلام ،ونقل السنة تم بنفس الطريقة ، فيقال مثلا هذا كتاب الموطأ لمالك برواية تلميذه الشيبانى ، وهذا كتاب المسند لأحمد بن حنبل برواية ابنه عبد الله ، وهكذا من راو إلى راو حتى وصل إلينا ، وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب الواحد كان يرويه عشرات ومئات التلاميذ ممن حصلوا على الإجازة ، فلم يكن الأمر نقلا فرديا.

قال الشاب : عودة على كتاب ابن قتيبة ، كيف أثبت العلماء تزوير الكتاب ؟

قال الكاتب:

بطريقة بسيطة جدا، وهو عدم وجود سند لهذا الكتاب لابن قتيبة كدليل على صحة صدور الكتاب منه، فضلا على أن ابن قتيبة ليس مجهولا بل هو من كبار الأئمة وبالتالى فله ترجمات مطولة عند أصحاب التراجم ، وهذه التراجم ليست مجرد سيرة ذاتية للعلماء بقصد التعظيم ، بل هى ملف كامل وشامل ويحتوى على مسيرته العلمية وآرائه وشيوخه الذين أخذ عنهم العلم ، وتلاميذه الذين أخذوا العلم منه ، وكل هذا لتأمين وحماية كتب الشريعة من الدس والتلفيق ، ولهذا ففي تراجم طبقات الحفاظ كافة عناوين كافة الكتب التى صنفها العالم المترجم له ، وكل تراجم ابن قتيبة خالية من عنوان كتاب الإمامة والسياسة ، أما الدليل العقلي القاطع ، فهو أن كتاب الإمامة والسياسة كتاب طافح بالروايات الشيعية المفضوحة عن الصحابة ، كما أن الكتاب يحتوى على معتقدات الشيعة البدعية كالإمامة الإلهية لأئمة آل البيت وأنهم معصومون ، وكل هذه المعتقدات تخالف أبجديات عقيدة أهل السنة ، ولا يمكن لعالم سنى ومحدث مثل ابن قتيبة الدينورى أن يروى ويقر هذا الكلام..

قال الشاب : ولكن ربما لم تعلم وزارة الثقافة بهذا

قال الكاتب:

بل يعلمون ، لأن تزوير كتاب ابن قتيبة كان موضوعا بحثيا للعديد من رسائل الدكتوراة والماجستير بل إن المعلومة منتشرة حتى فى الإنترنت ، فضلا على أنه من المعروف أن أى كتاب تراثي تتم طباعته ، يخضع للتحقيق من أحد المتخصصين ، وبالتالى فكشف تزوير الكتاب سهل وميسور ، بالإضافة إلى أننى أخبرتك أن هذا الأمر هو منهج لوزارة الثقافة فهى لم تطبع هذا الكتاب إلا لمحتواه البدعى ، وسبق أن أوضحت لك أنها لم تهتم بطباعة كتب أهل السنة فكل همهم الترويج للمبتدعات وأى فكر يطعن فى أهل السنة بل إن وزارة التعليم شاركتهم هذا التضليل لطلبة المدارس أيضا ، ألم تدرس فى مراحل التعليم الأساسي ما تسميه وزارة الثقافة بالدولة الفاطمية ؟

قال الشاب:

نعم بالطبع درسناها ودرسنا المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة الفاطمية

عقب الكاتب قائلا:

ولو أنك رجعت لنشاط وزارة الثقافة لوجدتها أعادت تجديد وإحياء مبانى القاهرة الفاطمية وشارع المعز لدين الله ، أليس كذلك ؟!

قال الشاب: نعم فما هى المشكلة فى هذا ؟!

أجـاب الكاتب:

المشكلة أنه يجب عليك وعلى كل شاب من جيلنا أن يشك فى أصابع يده إذا صافح بها مسئولا فى وزارة الثقافة فى عهد مبارك بالذات، فالدولة المسماة بالفاطمية زورا وبهتانا، سماها مؤرخو الإسلام على مر العصور بالدولة العبيدية الخبيثة، ومؤرخو مصر الإسلامية مثل السيوطى والسخاوى والعسقلانى والذين تزعم وزارة الثقافة أنها تمجدهم باعتبارهم مصريين ، هم من أطلقوا على الدولة العبيدية هذا الإسم، لأن مؤسسيها لا علاقة لهم بفاطمة الزهراء رضي الله عنها، ولا بآل البيت بل جدهم الذى نشأ فى المغرب هو ميمون القداح كان يهوديا فادعى الإسلام، والدولة العبيدية لا تنتمى لأهل السنة أصلا بل تنتمى إلى الفرقة الشيعية الإسماعيلية وقد دخلوا مصر بمذبحة هائلة وحكموها بعد أن أطاحوا بعلماء السنة، وأنشئوا المدارس الشيعية فى البلاد وكان أشهرها الجامع الأزهر والأقمر والأنور ، واشتهر الأزهر بعد ذلك باعتباره معهدا لعلوم الشيعة ، كما خربوا مساجد أهل السنة وأنشئوا مساجدهم وملئوها بعبارات لعن

الصحابة وعلماء السنة ، وأجبروا المصريين على ترديدها ، ونشبت حركة مقاومة عنيفة ضدهم وابتكر الشعب المصري أساليب طريفة لمقاومة الغزو الشيعى ، منها ابتكارهم لتهاليل الفجر التى لا زالت قائمة لليوم وهى عبارة عن أدعية بالصلاة والسلام على النبي عليه السلام وصحابته وآل بيته ، وذلك ردا منهم على لعن الشيعة للصحابة فى الآذان المحرف الخاص بهم ، بل ابتكر المصريون العوام فى الأسواق شتائم جديدة كانوا يستخدمونها للتهديد والتنديد بمن ينتمى للرافضة مثل كلمة (ابن الرفضي) وأصلها (ابن الرافضي) وكان المصريون يعتبرونها من أقذع الشتائم ، وأيضا كلمة (حشيعك) والتى يستخدمها المصريون لليوم عندما يستخدمون خطاب التهديد، أى أن الخصوم كانوا يهددون بعضهم البعض بتحويلهم لشيعة وكانوا يعتبرون هذا من الردع ، كما يستخدم المصريون لفظ (الحاكم بأمره) لوصف كل حاكم ظالم ، وهذه إشارة للحاكم بأمر الله أحد أبرز سلاطين العبيديين فى مصر والذى تم اغتياله بعد إدعائه الألوهية ..

وامتدت المقاومة ثلاثة قرون حتى جاء الناصر صلاح الدين فأجلى الرافضة من مصر، وأغلق معاهدهم ، ثم تحول الأزهر على يد العلماء المصريين إلى أكبر معاهد أهل السنة.

والسؤال الآن ..

أين هذه المعلومات والحقائق فى مطبوعات وزارة الثقافة وفى مناهج التعليم التى سقوها لأجيالنا، وهل هى مصادفة أن يتركز نشاط وزارة الثقافة ووزارة التعليم على تكريس كتب البدع وتزييف حقائق التاريخ ؟!

قال الشاب فى صدمة :لو صح هذا الكلام فمعنى هذا أننا لم ندرس شيئا صحيحا فى التاريخ الإسلامى؟!

قال الكاتب:

لا تتصدم سريعا، فالكارثة الحقيقية ليست فى هذا فحسب بل امتد التزوير حتى للسيرة النبوية ولسيرة الصحابة وتاريخهم، ألم يقرروا فى المدارس كتاب طه حسين (الفتنة الكبري) بكل ما احتواه من تدليس وتزوير وروايات خرافية ظل الإعلام يبثها للشعب المصري اعتمادا على أن علم الحديث ليس له رواج فى العصر الحديث، والأزهر ركز على علوم الفقه لأن أصحابها لهم احتكاك بالناس والفتاوى ألم نتعامل كشباب ومثقفين مع أحداث الفتنة الكبري المشتهرة باعتبارها حقائق تاريخية لا تقبل الجدل

، فرددنا مع الناس خدعة عمرو ابن العاص لأبي موسي الأشعري فى قضية التحكيم ، ورددنا معهم رواية رفع معاوية وجيشه للمصاحف على أسنة الرماح ، وتندرنا على رواية مبارزة الإمام على لعمرو بن العاص والتى قالوا لنا فيها أن عمرو كشف عورته أمام الإمام لكى ينجو بحياته .. ألم تسمع وتدرس هذه الروايات ؟!

أجاب الشاب : بل إننى درستها حتى فى كلية الآداب وليس فى المناهج الدراسية فحسب وقرأتها فى كتب العقاد وخالد محمد خالد ومحمد حسين هيكل وغيرهم

عقب الكاتب قائلا :

العقاد وخالد محمد خالد ومن هم فى مستواهم مفكرون عظام ، ودفاعهم عن عقيدة الإسلام موجود وظاهر فى كتبهم ومؤلفاتهم، لكن كتاباتهم عن التاريخ الإسلامى مع الأسف الشديد تأثرت بإنتشار الروايات الباطلة، لأنهم ذهبوا لاستقاء التاريخ من كتب التاريخ الإسلامى الأصلية دون دراسة لمنهج الأقدمين فى الرواية ، وتعاملوا معها كما نتعامل مع الكتب فى عصرنا الحاضر، فافترضوا أن كل ما ورد فى هذه الكتب يعنى أن مؤلفيها يقصدونها ويؤمنون بصحتها ، ولهذا أخذوا روايات الفتنة الكبري المشتهرة وأوردوها فى كتبهم ، ولجئوا إلى تبرير تلك الروايات الشنيعة بمختلف المبررات مراعاة منهم لقيمة الصحابة ، مع أنهم غير مضطرين لذلك أصلا

اعتدل الشاب سائلا فى اهتمام : هل تشير إلى زيف رواية التحكيم ونحوها.

قال الكاتب:

وهل خالجك شك يا رجل فى أننى أعنى هذا، والمفروض ألا يثير دهشتك هذا الموضوع لأن إنتشار الإنترنت ودور الكتب الإسلامية وكثرة الباحثين ساهم فى دحض تلك الروايات تماما، ويكفي أن تعلم أن نقد روايات الفتنة الكبري بمختلف تفاصيلها وبيان الروايات الصحيحة بأسانيد الأئمة الثقات كان ولا يزال هو الموضوع المفضل فى الأعوام الأخيرة فى المعاهد والجامعات، وقد أحصيت قرابة المائة بحث فى هذا الموضوع وحده وكلها من إنتاج جامعات الجزيرة العربية ومن أنشطة الدعوة السلفية ، بالإضافة إلى كتابات بعض الباحثين فى المغرب العربي.

سـأل الشـاب: وأين مؤلفات المؤرخين المصريين فى ذلك؟!

أجاب الكاتب:

موجودة طبعا، ولكنها غير منتشرة لأنه لم تدع الحاجة فى مصر إلى الإهتمام بهذا

الموضوع إلا فى الأعوام الأخيرة ، لأن عقيدة حب الصحابة وآل البيت راسخة فى المصريين ، بالإضافة إلى عدم وجود تيارات تناقض هذا الأمر إلا كتابات العلمانيين وهؤلاء بلا وزن لدى الجمهور ، أما فى الجزيرة العربية وبلاد الخليج والعراق فالأمر يختلف لأن الشيعة الإثناعشرية منتشرون بمعتقداتهم ومؤلفاتهم ، وكل هذه المعتقدات تدور حول الطعون الموجهة للصحابة ، ولأن الحاجة هى أم الإختراع فقد ركزت الجامعات وركز طلبة العلم فى هذا الموضوع ونشروا قواعد علوم النقل والإسناد ورد الشبهات حتى بين العوام ، وقد اختبرت ذلك كثيرا فهناك شباب فى مقتبل العمر ولم يدرسوا الدراسة الأكاديمية إلا أن غيرتهم على الصحابة دفعتهم لإتقان هذا التخصص بالجهد الشخصي ولو لم يقم الشيعة بنشر معتقدهم لما قامت الهمم لرد تلك الإتهامات ، ولهذا فحتى الأطفال فى الجزيرة العربية يعلمون الروايات الصحيحة فى الفتنة الكبري بل وربما يعلمون أسماء الرواة المطعون فيهم من الشيعة والذين حملوا راية نشر هذه الروايات وأشهرهم سيف بن عمر الضبي ولوط بن يحيي، أما فى مصر فلا يوجد شيعة بل ولا توجد حتى بين المثقفين أى معرفة بمعتقداتهم وغاية ما كنا نعرفه عنهم أنهم يحبون ويفضلون آل البيت ، حتى جاءت الفضائيات والإنترنت فى بداية القرن الحالى واطلعنا لأول مرة على حقيقة المعتقدات الشيعية ولم يكن يدر بخلدنا ـ ولو حتى فى الكوابيس ـ أن هناك مسلما من الممكن أن يطعن فى أبي بكر وعمر أو يعتبر آل البيت مفهوما قاصرا على الأئمة الإثنا عشر فقط، ولهذا تكرر معنا نفس المبرر الذى دفعنا لإتقان قراءة التاريخ ، وكتجربة شخصية لى ولبعض زملائي ممن لهم هواية قراءة التاريخ الإسلامى كانت صدمتنا كبيرة جدا عندما سمعنا لأول مرة أن وجود الروايات التاريخية فى الكتب لا يعنى صحتها ووقوعها الفعلى وعلمنا أن هناك علوما اسمها علوم الحديث منها علم الرجال الذى يبين حال الرواة ودرجات الرواية ، والكتب المعتمدة وغير المعتمدة ، ولهذا وجهنا جهدنا كله للدراسة والبحث خلف هذا العلم وقام الكثيرون بإعادة قراءة التاريخ الإسلامى من جديد وتعلمنا ثقافة الشك والمطالبة بالدليل وعشقنا مبادئ علوم الحديث خاصة بعد أن اكتشفنا أن هناك أحاديث موضوعة كثيرة يرددها الناس دون علم أو دراية ..

وقبل أن تسأل عن الروايات الصحيحة وأدلتها سأعطيك بحثا مختصرا قمت بإعداده ليصلح دليلا سهلا على القارئ فى معالجة هذه الروايات ، وهو على هذا الرابط :

http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=392

سأل الشاب: ما زلت لا أفهم كيف وقع كبار مفكرينا فى فخ الروايات الضعيفة ؟!

قال الكاتب :

لهم عذرهم الكامل يا صديقي ، فأدوات المعرفة فى أيامهم كانت قاصرة جدا ، بينما نحن الآن نمتلك وسائل خرافية للبحث والتنقيب والوصول لآلاف الكتب والمحاضرات المسموعة والمرئية ، وهؤلاء المفكرين الكبار كانوا يبذلون الغالى والرخيص للوصول للكتب القليلة المتاحة على أيامهم ، فأخذوا منها ، ولم يدركوا طبيعة منهج كتابة التاريخ عند علماء السنة، ولم ينتبهوا إلى أن الإمام الطبري مثلا قال فى مقدمة كتابه (تاريخ الأمم والملوك) أنه التزم فقط برواية سائر الروايات مع بيان سندها بالكامل وبالتالى فلا يتحمل مسئولية من أخذ بالرواية دون فحص السند اعتمادا على القاعدة الأصولية التى تقول (من أسند فقد أحال) ، لأن جمع الروايات شيئ وتحقيق الروايات شيئ آخر ومهمة أخرى، وهو نفس منهج كتابة الحديث فكل كتب السنة عدا صحيحى البخارى ومسلم تحتوى الأحاديث مسندة دون إلتزام بصحتها ، لأن البخارى ومسلم وحدهما التزما بجمع عدد معين من الأحاديث الصحيح فقط تكون محتوية على أحاديث الأحكام والعقيدة والعبادات وبشكل مضغوط مختصر يصلح دليلا للمسلم على شريعته ولهذا فعدد الأحاديث فى الصحيحين مختصر بالنسبة لباقي الكتب، أما باقي السنة فقد روتها كتب الأئمة شاملة وجامعة مثل مسند أحمد ابن حنبل الذى احتوى أربعين ألف حديث بالمكرر ، ومثل كتب السنن والمسانيد وغيرها ، وكل هذه الكتب جاء علماء التحقيق بعد ذلك فأخضعوها للفحص فبينوا الصحيح والضعيف والموضوع بيانا واضحا ، ونفس الشيئ حدث فى كتب التاريخ ولكن بدرجة دقة أقل ، لأن الحديث كان يتم فحصه كلمة كلمة، دون حرف زائد أو ناقص أما التاريخ فتجوز روايته المعنى أو رواية الواقعة بعموم ولكن دون إدخال روايات موضوعة، لكن كل هذه المعلومات غابت عن أذهان مفكرينا لأنهم غير متخصصين فى هذا الفن، وإذا كان بعض الفقهاء يقع فى فخ الروايات الضعيفة ويضطر للجوء لعلماء الحديث فما بالنا بالمثقفين والمفكرين..

تساءل الشاب:

ولكن لماذا التمست العذر للعقاد وخالد محمد خالد ولم تفعله مع طه حسين ؟!

أجاب الكاتب:

دعنى أوضح لك أولا أن من هم مثلي ومثلك ومثل آلاف الشباب الباحثين عن المعرفة،

لم نعش عصور هؤلاء الناس ، ولا نعرفهم شخصيا حتى نحبهم أو نكرههم بشكل شخصي بل كل أجيالنا اليوم شباب بعقول محايدة تماما ولا تحمل أى ثقافة مسبقة للتأييد أو الرفض وكل من قرأنا لهم هذه الكتب رحلوا عن عالمنا قبل حتى أن نولد نحن ، ولهذا لا توجد عندنا ـ كشباب عاشق للقراءة ـ أي موقف سلبي أو إيجابي مسبق ، نظرا لأننا جئنا فى عصر الجمود الثقافى الذى بدأ مع عصر مبارك، وكان عصر الأيديولوجيات والإنتماءات السياسية والدينية والثقافية سابقا لنا لحسن الحظ ، وبالتالى فقد خرجنا بلا أى خصومة مع أى تيار ، فأجيالنا ليست ناصرية أو ساداتية ، وليست شيوعية أو رأسمالية ، ولسنا صوفية أو سلفية ـ بالمعنى التنظيمى ـ أو أشعرية ، بل معظمنا كان حتى عهد قريب لا يعرف المذاهب العقائدية من الأساس ويعبد الله بعقيدة العوام التى امتدحها العلماء نظرا لأنها عقيدة صافية لم تخض فيما ليس لها به علم ..

ولهذه الميزة الجميلة،، فقد خرجنا نطلب العلم والثقافة من الجميع ، بينما ظلت أجيال آبائنا وأجدادنا رهينة المحبسين ، الإنتماء الأيديولوجى ، والإنتماء لأشخاص المفكرين لأنهم عاصروهم جميعا فنشأت لديهم العاطفة سواء بالحب أو الكره ، وفى الأجيال السابقة علينا ستجد أنه من المستحيل أن يوجد ناصري يحب السادات ، أو ساداتى يحب عبد الناصر ، ولن تجد صوفيا يحب علماء وأفاضل السلفيين أو سلفيا يُقدّر أكابر الصوفية ، ولن تجد شاعرا من شعراء ما يسمى بالحداثة يحب الكلاسيكيين أو الرومانسيين ، ولن تجد شيخا أزهريا يحتمل الوجود فى مكان واحد مع مثقف علمانى والعكس صحيح .. إلخ ..

فهذا الإستقطاب الرهيب جعل كل طرف يخرج عيوب الآخر ، وبطبيعة الحال كل الناس بها عيوب ، وحتى على مستوى فكرنا وحضارتنا وإسلامنا لا يوجد أحد معصوم بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والحكم على المناهج والعلماء إنما يكون بمدى حسناته وسيئاته ، وعلى هذا الأساس يتحدد الحكم بالصلاح أو الفساد .. لكننا لم نعان من الاستقطاب ..

ولأنه لا يوجد لدينا كمسلمين مقياس أفضل من مقياس القرآن والسنة باعتبارهما المقياس الثابت الوحيد المعصوم ، فقد استعملناه نحن الشباب فى قبول المعارف أو رفضها ومن أساسيات وأبجديات مقياس القرآن والسنة أن الجيل الوحيد فى الأمة الذى يصلح للقياس عليه فى الحكم على الأشخاص هو جيل الصحابة ، ليس لأنهم معصومون

بل لأنهم محفوظون ، فصريح آيات القرآن جعل حبهم إيمان وبغضهم كفر ونفاق ، ولهذا بدأنا السلم من أوله .. فوجدنا أن علماء أهل السنة هم جمهور الأمة، وليس هذا فقط بل إنهم المتفردون بالمنهج الوحيد الذى يطبق مبدأ الجمع بين حب الصحابة وآل البيت وحفظ جميلهم على الأمة ، وبالتالى ذهبنا لنأخذ العلم من أصحاب المذاهب الأربعة، ومن ابن حزم وسفيان الثورى وبن عيينة وابن أبي شيبة وابن المبارك ، ثم نزلنا درجات السلم خطوة خطوة حتى وصلنا لأجيال العلماء الحاليين ، ورفضنا فى نفس الوقت كل علماء الفرق البدعية التى انشقت عن أهل السنة لسبب بسيط أنهم يرفضون العمل بالحديث النبوى إما لرفضهم المطلق كالمعتزلة فى تفضيل العقل ، وإما لعملهم بأحاديث لم تأت عن طريق الصحابة أو من رووا عنهم ، وإنما من طرق مجهولة لا تثبت ، ثم وجدنا الفرق البدعية تجتمع على كره جيل الصحابة ، والتنقص منهم والخوض فى أعراضهم وهذا مخالف للثابت المطلق لدينا وهو القرآن .. وبتطبيق ذلك على كتابات مفكرى وعلماء العصر الحديث، قمنا باستبعاد المذاهب التى تتخذ من الإلحاد مذهبا كالشيوعية ، والمذاهب التى تطعن فى الصحابة وتعتبره من أساسيات أفكارها كدعاة التغريب ، ولهذا رفضنا منهج طه حسين كله ، لأننا قرأناه وطالعناه بالفعل ووجدنا الأفكار التى أوضحتها لك ، لكن العقاد وخالد محمد خالد ، كتبوا فى الفكر الإسلامى والصحابة بأجمل آيات التبجيل ودافع العقاد عن الإسلام وحضارته فكتب عن فضل الحضارة العربية على الغربية ، وجاء خالد محمد خالد فكتب عن خلفاء الرسول وصحابته عليه وعليهم الصلاة والسلام ، ولهذا فإن ما وقعوا فيه أخطاء استنادا إلى روايات ضعيفة فى الكتب ، حملناها على عذر ظروف عصرهم ، وهم لا يختلفون عن علماء الإسلام السابقين الذين حمل تابعوهم أخطاءهم على نفس العذر لأنهم من أهل الفضل ، أما طه حسين فلم نجد منه إلا الطعن فى القرآن وفى الصحابة فضلا على محاولته سلب أمة العرب آدابها وثقافتها !! فلماذا نعذره وبأى مبرر ؟![٦٤]

كما أن العقاد وخالد محمد خالد كانا جنديان عملاقان فى معركتهم ضد التغريب مع عدد قليل من المفكرين، ورغم قلة إمكانياتهم صمدوا، بل إن خالد محمد خالد أثبت صدق نواياه بتجربة مشهورة ، فعندما كان فى شبابه تأثر كثيرا بدعاوى التغريب المنتشرة وظنها فيها بعض الحق ولو أنه لم يوافقهم على سائر ما يدعون إليه فهدفه بالفعل كان

(٦٤) رحم الله طه حسين وغفر له ، فقد جاءت روايات عديدة تقول بتراجعه عن أفكار المستشرقين وندمه عليها لا سيما فى المرحلة التى كتب فيها روايته المعروفة (الوعد الحق).

التجديد كما يفهمه، فكتب أول كتبه وهو (من هنا نبدأ) ، وكان الكتاب محتويا على أفكار مخالفة لصحيح الدين والتاريخ ، فرد عليه الشيخ الغزالى ردا قاسيا بكتاب (من هنا نعلم) ، ورغم أن هذه القسوة كان يمكن لها أن تجعل خالد محمد خالد يتمسك برأيه، إلا أن هناك عاملا آخر جعله يتراجع على الفور عن أفكاره تلك، وهذا العامل تمثل باحتفاء دعاة التغريب بكتابه إلى درجة مبالغ فيها، وترحيبهم بهذه الأفكار ووصفها بالأفكار التنويرية ، هنا توقف خالد محمد خالد مع نفسه وبدأ يراجع موقفه لأنه نظر بعين الريبة لاحتفاء دعاة التغريب به ، فترحيبهم به ـ وهو يعلم يقينا بموقفهم من الإسلام ـ جعله يدرك أن هناك دافع خبيث خلف هذا الإهتمام ، فمنذ متى يحتفي هؤلاء القوم بمفكر إسلامى أو فقيه .. وبالفعل جلس إلى الشيخ الغزالى وراجع معه كل أفكاره ثم انضم لكتيبة المقاتلين ضد التغريب ..

ونفس الشيئ حدث مع الدكتور مصطفي محمود ، وقد كان رحمه الله والذى كان تائها كمعظم أبناء جيله من المثقفين ولا يدرى أين الحقيقة ، فالعوام والأميون فى ذلك الوقت كانوا فى مأمن من أفكار التغريب وليس هناك مجال لوصولها إليهم ، أما المثقفون فكانوا عرضة لذلك فمنهم من وافقهم ومنهم من حاربهم ، وبقيت فئة ثالثة حائرة بين علماء الأزهر وبين دعاة التغريب ، كان منهم مصطفي محمود ، فقرر أن يمحو من رأسه كافة الأفكار التى اكتسبها فى بيئته سواء مع الدين الإسلامى أو ضده ، وبدأ يتفكر بعقله من البداية، بدأ يتساءل أولا عن وجود الله ، وبعد إثبات ذلك انطلق لإثبات صحة الرسالة المحمدية، ونظرا لأنه لم يؤمن بالإسلام بطريقة التعلم من الأسرة ، وقرر اختيار الطريق الوعر ، فجاء بحثه مثمرا لأنه كان محايدا بعقله تماما ، والعقل المحايد يهديه الله تعالى بالفطرة، فبدأ رحلته بإبطال الفلسفة الشيوعية القائمة على الإلحاد وعندما تبين له ذلك وآمن أن الإلحاد هو أغبي عمل فكرى فى الوجود لأنه لا يفسر أى شيئ فى أى شيئ، بدأ البحث باطمئنان فى معجزات الخالق فى خلقه وفى قرآنه الكريم ، ونظرا لأنه طبيب وصاحب عقلية علمية ، فالذى لفت نظره فى القرآن هو آيات الخلق للكون وللكائنات الحية ، فكتب لنا سلسلة من أجمل إبداعات العقل المسلم وقدم سلسلة حلقات العلم والإيمان التى جذبت آلاف المسلمين للتفكر فى القرآن تنفيذا لوصية النبي عليه الصلاة والسلام بالتفكر فيه لأنه منجم لا يشبع منه العلماء،وميزة القرآن الكريم عن أى كتاب سماوى آخر ، أنه ـ وباعتباره دعوة للعالمين ـ فكان لازما أن يحتوى فى آياته على إعجاز

يبهر كل العقول على اختلاف الأمم والثقافات، فهو لم ينزل للعرب وحدهم حتى يتميز بإعجاز البلاغة وحدها، وإلا كان هذا ظلما لغير العرب ممن لا يتذوقون جمال العربية وبلاغتها، ولهذا كان القرآن يلفت نظر العلماء فى كل تخصص فى مراحل خلق الإنسان وفى وصف الكون، وفى النظام التشريعى المحكم الذى يصلح لكل الأمم على مر العصور وفى ذكر الأمم السابقة وحكايا الرسل السابقين عليهم السلام ، وهكذا بلا حدود.

قال الشـــاب:

لكن مصطفي محمود له أخطاء حول السنة وحول بعض تفسيرات القرآن الكريم ..

أجاب الكاتب:

وما الغريب فى ذلك، ألم أقل لك منذ قليل أن جهابذة الدعاة والمتخصصين وقعوا فى فخ الجهل ببعض روايات علوم الحديث ، فما بالك برجل لم يتخصص فى هذه الفنون أصلا ؟! ثم هل تظننا نطلب من علمائنا أن يكونوا معصومين أو بلا أخطاء كشرط لأخذ العلم عنهم ، لو فعلنا هذا فلن نجد عالما واحدا نأخذ منه، والعبرة بقياس الحسنات والسيئات كما قلت لك ، فالعلماء مثلا حفظوا للحاكم النيسابورى قدره رغم أنه كان صاحب هوى وميل للشيعة ورواياتهم ، فاكتفي العلماء بالتنبيه على هواه حتى يتجنبوا هذا الهوى عند حديثه فيه ، والإمام أبو حامد الغزالى وهو واحد من أعظم فقهاء عصره فى مجال الأصول له أخطاء جسيمة جدا فى كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) وله أقوال تتصادم مع بعض الثوابت وقد تتبعه فيها الإمام ابن الجوزى ونبه على تلك الأخطاء ، كما قام الحافظ العراقي بتخريج أحاديث كتاب (الإحياء) ، وهناك من اشتد من العلماء فى نقد الكتاب وبالذات فى الجزء الخامس الخاص بالتصوف، لكن هذا قطعا لا ينفي جلالة مقام الإمام أبي حامد الغزالى فى الفقه وأصوله ورسوخه فى هذا، والشعراوى له ميول صوفية مشهورة وآراء سياسية غير مقبولة، فهل نرفض إبداعاته فى تفسير القرآن وتاريخه العتيد فى محاربة أفكار الإلحاد والإستشراق لأجل ذلك، وكذلك خالد محمد خالد فيه نفس النزعة الصوفية لكن الرجل مفكر من طراز فريد ويتميز بلغة أدبية سهلة ومحببة للنفس فى روايته عن الصحابة ولولا استناده للروايات الموضوعة والضعيفة فى كتابيه (رجال حول الرسول) و (خلفاء الرسول) لقلت بأن هذين الكتابين من أروع ما يمكن أن يتم تدريسه فى مناهج التربية والتعليم، لأن الرجل مخلص جدا فى حبه ودعوته لجيل الصحابة ويظهر هذا بجلاءوكذلك مصطفي محمود ، وهو بعطائه لا

يخفي على أحد، وربما يركز الناس على عطائه الباذخ فى حلقات برنامجه الشهير (العلم والإيمان) ، وهو أعظم أعماله لا شك ، ولكن له فى كتبه عطاءات باذخة من الناحية الفكرية فى التصدى للإلحاد والمذاهب الهدامة ، بل إنه كتب عدة كتب فى طرق المواجهة مع إسرائيل والغرب تعتبر مرجعا لمن أراد أن يفهم لعبة السياسة فى منطقة الشرق الأوسط وهو فى كل كتاباته جعل الإسلام قرآنا وسنة نصب عينيه، ثم إنه ـ وهو المهم ـ رجل يعود للحق فور اقتناعه ، وهى ميزة تكفي تماما لاستيعاب أخطائه مهما عظمت ، لكن المصيبة أنك عندما ترد بعنف وقسوة على مفكر كبير كهذا فإنك تعين شيطانه عليه دون أن تدرى فالمفترض أن نعتبره متأولا ـ وهو كذلك بالفعل ـ فقد غاب عنه جلالة علم الحديث كما غاب عن غيره من بعض متخصصي علوم الشريعة، فالمفترض أنه أولى بالعذر، وقد أصاب فى معظم أفكاره، بل الأشد من هذا أنه كان صاحب الفضل الأكبر فى التصدى للفكر الشيوعى داخل مصر وكتب فيهم سلسلة كتب شهيرة مزق فيها حجتهم وكانت المكتبة العربية فى حاجة إلى ذلك لأن ردود علماء الشريعة على الشيوعية لم تكن كافية لأنها اعتمدت على النصوص التى ينكرها الملاحدة بطبيعة الحال ولهذا كان الحل التصدى لهذا الفكر بالفكر والعقل أيضا ، تماما كما فعل علماء السلف عندما ناقشوا الفلاسفة ، ومن الأخطاء الكبيرة أن علماء الأزهر عندما قاموا بالرد عليه اتهموه بأبشع التهم، دون أن يضعوا فى اعتبارهم منهج السلف الصالح فى استيعاب المخطئين المتأولين ، فاتهموه بإنكار السنة كلها فى كتابه عن الشفاعة ، رغم أنه قال فى كتابه مرارا أنه لا ينكرها بل يطلب فهمها وفق عقيدة الإسلام ولو أنهم تعاملوا معه كما تعامل الغزالى مع خالد محمد خالد لتراجع مصطفي محمود عن أفكاره تلك كما سبق وأن فعلها مرارا من قبل .. ثم هناك حقيقة مريرة كان ينبغي التنبه لها ..

كان جديرا بمن هاجم مصطفي محمود دون أن يكتفي بإيضاح خطئه ، أن ينتبه إلى طبيعة المعركة المحتدمة الآن وأن الجنود المدافعون عن العقيدة الإسلامية قلة قليلة تواجه جحافل مدعومة بالسلطة والمال ، فليس منطقيا أن تستعدى عليك واحدا من أبرز المحاربين فى صفك وتعامله معاملة ألد أعدائك.

قال الشاب:

نخلص من ذلك إلى أن انتشار الروايات الموضوعة فى الفتنة الكبري كان فيه شق عمدى يهدف للتشويه ، وشق آخر نشره بجهل

أجاب الكاتب:

نعم ، وليس فى مدار روايات الفتنة الكبري فقط ، بل امتد التشويه للخلافة الإسلامية بأكملها حتى الخلافة الراشدة وذلك بالترويج لتشنيعات الروايات الموضوعة والأساطير الموجودة فى كتب المسامرات، وهى كتب تؤخذ للتسلية فى الأصل ، ولكن المغفلون فى عصرنا اعتبروها أحد مصادر التاريخ ونقلوا عنها ، وكتب المسامرات الأدبية هذى تشبه ألف ليلة وليلة وكتاب الأغانى للأصفهانى ، فيمكن قراءتها كتاريخ أدبي أو روايات مصنوعة للطرافة كالمؤلفات الروائية الحديثة ، أما أن تأخذها كمصدر لأحكام الشريعة أو كمصدر موثق للتاريخ الإسلامى فهذه مصيبة .. لأنك لو فعلت هذا لكنت شبيها بمن يأخذ وقائع التاريخ من أفلام السينما أو الروايات الدرامية.

تساءل الشاب:

وما هى أمثلة كتب المسامرات ؟!

قال الكاتب:

مثل كتاب المستطرف للأبشيهى ، ومثل كتاب الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى ، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، وكتاب الكشكول للعاملى ، وكتاب ربيع الأبرار للزمخشري

قال الشاب:

ولكنهم لا زالوا إلى اليوم يحتجون بوجود هذه الروايات فى كتب التاريخ الأصلية كما يحتجون بانتشارها فى مئات المؤلفات والكتب.

ضحك الكاتب قائلا:

كتب التاريخ الأصلية لا تحتوى أمثال الروايات الخرافية التى يجلبها بعض هؤلاء المهاجمين وتبلغ حد السفه العقلي، بل توجد هذه الروايات فى كتب المسامرات المشار إليها ، مثل تلك الرواية العجيبة التى جلبها خالد منتصر من كتاب الأغانى عن طريقة تعذيب ابن المقفع ، وخالد منتصر بالذات له باع طويل فى الكذب والتدليس بهذا الشكل ولكنه يتميز عن الآخرين بأنه ينتقي الروايات التى لا يصدقها عاقل أصلا ! مثل قصة تعذيب ابن المقفع التى اتخذها مثالا [٦٥] أما الروايات الضعيفة والمكذوبة فهى روايات مغلوطة لأحداث بعينها وقعت فى التاريخ الإسلامى ، وهى معروفة بسندها ومصدرها،

---

(٦٥) هى رواية عجيبة من روايات كتب المسامرات تحكى أن السلطة عاقبت ابن المقفع عن طريق قطع أطرافه وشيها فى النار ثم إجباره على أكلها !! ، ولست أدرى كيف لطبيب مثل خالد منتصر يقتنع أنه يوجد بشري يمكنه احتمال ربع هذا دون يلقي مصرعه فورا قبل حتى أن يجبروه على مضغ لقمة واحدة.

أما الخرافات فهى بلا أسانيد من أساسه، مما يعنى أنها ركام والذى يثير الضحك حتى النخاع أن هؤلاء العلمانيين يرفضون احتجاجنا بالبخارى ومسلم وهما أصح الصحيح والآن يريدون أن يحتجوا علينا بالموضوعات والمكذوبات لمجرد أنها تحقق غرضهم فى الطعن وهذا المنهج يضربهم هم قبل غيرهم للأسباب التالية:

أولا، لو أننا أخذنا بمنهج العلمانيين باعتماد كل ما فى الكتب لضاع الدين نفسه وليس التاريخ فحسب، فسبق أن قلت لك أن الأحاديث الضعيفة موجودة فى كتب السنة الأصلية جنبا إلى جنب مع الروايات الصحيحة ، لكن المحققين بينوا وفرزوا وأخرجوا كتب التحقيق التى توضح الأحاديث الضعيفة ، وهناك كتب متخصصة ألفها العلماء لجمع الأحاديث الموضوعة، فلو أخذنا بمنهج العلمانيين فمعنى هذا أن نحتج بوجود الأحاديث المزورة فى كتب الموضوعات لكى نعمل بها !!

ثانيا، احتجاجهم بانتشار الروايات الموضوعة للفتنة الكبري لا يعنى شيئا فى البحث العلمى، فالشائعات أكثر انتشارا وتأثيرا ألف مرة من الحقائق ، فهل يكون للشائعات عندئذ قيمة الحقيقة ؟!

ولو أنك قمت ببحث متقصي خلف إحدى روايات الفتنة المشتهرة وهى قصة خدعة التحكيم ، فهذه الرواية مصدرها الوحيد هو الراوى الرافضي لوط بن يحيي وقد حكم علماء الرجال على هذا الراوى بالكـــذب وسقـــوط العدالة ، وهو الذى ألف كتـــاب (وقعة صفين) وحشاه بهذه الروايات ، وعنه أخذتها سائر كتب التاريخ بعد ذلك فمنهم من رواها مبينا كذبها ، ومنهم من رواها مبينا سندها تاركا الحكم للمحققين، ولو أنك أفنيت عمرك فى البحث فلن تجد لهذه الرواية إسنادا يخلو من لوط بن يحيي، ولن تجد كتابا واحدا يروى الرواية بسند مختلف صحيح أو حتى حسن .. وبالتالى فلو أن آلاف الكتب أوردتها فسيظل المصدر المكذوب واحدا لا يتغير..

ومنذ سنوات كتبت ردا مفصلا على أحد المفكرين الكبار ممن تناول هذه الرواية المشتهرة فى أحد مقالاته وكتبه، ثم ناقشته مباشرة فى تلك الرواية فى محاورة معه على صفحته بالفيس بوك ، فأصر على صحتها واتفقنا على أن يأتينى بهذه الرواية نفسها ولكن من طريق وسند آخر غير السند الطعون فيه إلى لوط بن يحيي ، وأمهلته الوقت كما طلب ، ولم يأت بشيئ إلى اليوم!

سأل الشاب: ولكن لماذا لم تنتشر واقعة التحكيم الصحيحة مثل هذه الرواية ..

قال الكاتب:

فى العصور الإسلامية الأولى وحتى نهاية القرن العاشر الهجرى لم تكن هناك خطورة من هذه الروايات ، لأن العصر كان عصر علم وثقافة الإسناد موجودة حتى عند العوام بمعنى أن الحاجة إلى البيان غير متحققة لأن الرواية المكذوبة ظلت بإسنادها لا تشتهر إلا بين الشيعة والمبتدعة، فالإنتشار لهذه الرواية إنما جاء فى عصر الطباعة الحديثة ولك أن تبحث بعقلك عن السبب الذى دعا لنشر هذه الرواية عمدا ـ كما سبق الشرح ـ وترك الرواية الصحيحة التى رواها الإمام الدارقطنى شيخ البخارى ، ونقلها عنه الإمام أبي بكر ابن العربي فى كتابه (العواصم من القواصم) .. فالرواية الصحيحة موجودة وفى مصدر معروف فما السر فى انتشار الزائفة إذا؟!

وفى المائة عام الأخيرة حدث ما يشبه التكالب الغريب على انتقاء تلك الرواية بعينها من كافة الروايات الأخرى والحرص على نشرها نشرا هائلا حتى لا تكاد تجد مفكرا معاصرا إلا ونقلها سواء بعلم أو بجهل أما الرواية الصحيحة فقد ظلت فى مكانها وعند المتخصصين طيلة القرون السابقة لا سيما وأن هناك ملحوظة هامة توضح لنا لماذا لم يركز العلماء على نشر ومناقشة أحداث الفتنة الكبري السبب الأصلي يعود إلى أن أهل السنة كانوا يعملون بقاعدة (الكف عما شجر بين الصحابة) واكتفوا بالإشارة إلى أحداث الفتنة بإشارات مختصرة، حتى انتشرت كتب التاريخ الشيعية فتحرك المحققون لاستخلاص الرواية الصحيحة وأثبتوها.. ومن استطاع منهم الوصول بأدوات عصره للإسناد الصحيح نشر رواية الدارقطنى ومن لم يستطع سكت عنها أما السبب الرئيسي الذى منح رواية التحكيم المكذوبة تلك الشهرة، أنه مع بداية عصر ما يسمى بالتنوير لم تعد هناك أصلا ثقافة التمييز بين العلماء الثقات وبين الكذابين بل ولم يهتموا أساسا بالتاريخ الإسلامى ، وحتى عندما أخذوه لم يكتفوا بأخذه من كتب الوضاعين بل أضافوا إليها شروحات وتحقيقات المستشرقين وتعاملوا مع هذا الأمر وكأنه امر عادى جدا، وبالتالى فلا أحد كان يعلم أو يهتم بمن هو الدارقطنى أو ابن العربي ولا ما هو مقدار اختلافهم عن لوط بن يحيي، فضلا على غياب العلم بمنهج البحث التاريخى عند المسلمين ولهذا تساوت الرءوس ووقع الغالبية فى الفخ بحسن نية ، لكن هناك من كان يعلم بهذا كله ويفعله عامدا، لا سيما وأن مصادر الثقافة والتعليم منذ أواخر القرن التاسع عشر كانت فى يد الإحتلال البريطانى..

قال الشاب: أى أن المتغربين تتلمذوا على يد المستشرقين ثم وجهوا كتاباتهم للناس

أجاب الكاتب:

نعم ورغم أن المستشرقين لم يؤثروا فى المسلمين بشيئ يذكر، إلا أن دور دعاة التغريب كان مؤثرا هذه المرة ـ ولو بنطاق محدود فى شباب المثقفين فى تلك الأيام ـ لأن المتحدثين بالشبهات كانوا من أبناء المسلمين والمنتسبين إليهم وهو ما غرر بالكثير من العوام الذين استمعوا إليهم، وهذا أمر طبيعى .. فالمستشرق الغربي مهما تحدث وطعن وشكك فى الإسلام والنبوة فلن يجد له أذنا صاغية بين المسلمين لمعرفتهم بعداوته وأهدافه..

أما المسلم إذا تكلم بالشبهات فهو يتكلم هنا من منطلق الدعوة إلى الإصلاح فيما يزعم بينما هو منافق يردد ما لقنوه فى الغرب من أجل ذلك كانت حكمة الله تعالى من التحذير العنيف بشأن المنافقين ، بل جعلهم الله يوم القيامة فى الدرك الأسفل من النار أى أنهم أعتى جرما عند الله من الكفار الأصليين، وهذه قمة الحكمة الإلهية، والتى تثبت صحتها حتى فى المعاملات العادية بين الناس، فعدوك الظاهر مهما بلغت قوته، ومهما بلغ ضعفك ، إلا أن هزيمتك أمامه غير مضمونة إذا توافرت فيك الإرادة وعدم الإستسلام ، أما العدو الخبيث المداهن المتدثر بثوب الصديق فهذا هو الخطر الحقيقي والذى يتمكن من تحقيق أهدافه دون إستخدام أى سلاح إلا سلاح المكر وانظر معى وتأمل فى تاريخ العالم القديم والحديث ، ستجد أن اليهود دائما كانوا قلة قليلة ولا يمتلكون القوة وبالرغم من هذا فهم يسيطرون وينتصرون ويحققون من المكاسب ما تعجز عن الإمبراطوريات العظيمة ، لأنهم دائما لا يواجهون إلا إتكالا على دعم غيرهم ، وعندهم الإستعداد الفطرى للغدر حتى لو لم يكن الغدر ذو فائدة فعلية!

ورغم أن الولايات المتحدة هى مركز قوتهم الحقيقي إلا أنهم تجسسوا عليها أمنيا واقتصاديا فى قضايا شهيرة ولعبوا فى السياسة الداخلية الأمريكية كيفما شاءوا [٦٦]

---

(٦٦) مارس الإسرائيليون ضد الولايات المتحدة اختراقات بلا حدود رغم أنهم فعليا ليسوا بحاجة إلى هذا نظرا للإتفاق الإستراتيجى الكامل بينهم وبين الأمريكيين، والتعاون على مستوى القيادات فى كافة المستويات، ورغم هذا اقام الموستد بتجنيد عملاء كبار للغاية ف الأوساط الامريكية أشهرهم جواثان بولارد الذى نقل لهم بعض خبايا الأمن القومى الامريكى وتم كشفه ومحاكمته بالسجن مدى الحياة لتظل اسرائيل تضغط للافراج عنه خمسة عشر عاما حتى نجحت ومما هو جدير بالذكر أنه رغم نفوذ اللوبي اليهودى فى امريكا وقوة منظمة الأيباك فى المجتمع الأمريكى إلا أنه يوجد تيار كبير وملحوظ من كبار الساسة والقيادات الأمنية لا يرضون عن المعاملة الامريكية تجاه إسرائيل ولكن أصوات هذا الفريق دوما مهضومة وقد فضح السيناتور الامريكى (بول فيدنلى) بعض صور الافاعيل الاسرائيلية فى كتاب شهير مترجم للعربية بعنوان (الخداع) وتمت مطاردته قضائيا من اللوبي اليهودى بسبب ذلك.

قال الشاب: وهل كل من يردد الشبهات على السنة هو مدفوع أو مأجور من الغرب

قال الكاتب نافيا:

كلا بالطبع .. والقصة ليست بهذه البساطة ولها جذور تاريخية فمحاولات اختراق المجتمع المسلم بعموم تمت منذ قرون عن طريق حركة الإستشراق ، لكن حركة الإستشراق قديما كان تأثيرها ضعيفا ولم يهتم بها الغرب اهتماما كاملا مع تركيزه على استخدام قوة السلاح ، وقد نجح علماء المسلمين فى عصور الحكم الإسلامى المختلفة من التصدى لها ببراعة كما ذكرنا ..

ولكن الإستشراق بدأ الموج العاتى له مع ظهور قوة الخلافة العثمانية التى حشرت أوربا فى أرضها وأنهت عقودا من الحروب الصليبية على الشرق الإسلامى، ثم توسعت وأسقطت عمالقة أوربا وصارت سلطنة العالم كله لمدة تربو على ستة قرون ، ولم ينجح الغرب فى تحقيق إنجاز ضدها إلا عندما بدأ الضعف ينتابها قبل مائتى عام من الإنهيار الفعلى، وعندما ضعفت قبضة الحكام ونجح الغرب الأوربي فى اختراق مقر الخلافة نفسه بدعاوى التجديد والتحديث والتطوير ونجحوا فى تغيير النظم الشرعية والقانونية القائمة على الشريعة ، هنا تمكن الغرب من أخذ مكان الخلافة فى الشرق العربي بسهولة ولم يقم الغرب بالإحتلال الكامل دفعة واحدة ولكن مهد لذلك ، وكانت أول الإختراقات نجاحا مع بداية عصر محمد على فى مصر، ومحمد على صاحب تجربة نهضة عملاقة من الناحية العملية لكن ولأنه كان أميا فى الأصل لم ينتبه لمدى خطورة الإختراق الفكرى وبعد موقعة ومعاهدة صلح (كوتاهية) الذى بموجبه أجبره الأوربيون على الإحتجاب داخل مصر اتجه محمد على إلى النهوض بمصر فأسس المدارس المعاصرة وشق القنوات والترع وقام بإرسال البعثات العلمية إلى جامعات الغرب بهدف واحد ألا وهو هدف إتقان العلوم العملية الحديثة ..

ولأن أى حضارة فى أى زمان لا تميل إلى تصدير علومها المعملية دون علومها العقائدية وأخلاقها وطبائعها، أحب الغرب أن يستولى على عقول هؤلاء الشباب الغرير القادم من أقصي الشرق من بيئات منغلقة غير مفتوحة ، ورغم إهتمام محمد على بالجانب العقائدى لطلبة البعثات عن طريق الحرص على إرسال شيخ أزهرى مع كل فوج دراسي يتابعهم فى أمور دينهم ويقوم بإمامتهم فى الصلاة ، إلا أن الإختراق حدث رغم هذا !!

قال الشاب : وكيف تم ذلك رغم وجود الشيوخ .

قال الكاتب:

من الغرائب فى هذا الموضوع أن أحد هؤلاء الشيوخ أساسا كان سببا مباشرا فى هذا وهذا الشيخ هو الأزهرى رفاعة رافع الطهطاوى !

الشاب: !!!

أكمل الكاتب: الشيخ رفاعة ذهب لفرنسا فى بعثة علمية ووظيفته هناك محددة بإمامة الطلبة فى أمور الدين فجذبته علوم وحياة أوربا فدرس هناك ، ولكن الكارثة أنه تأثر بالحياة الأوربية المنفتحة والخالية من كل القيود الإخلاقية وانبهر بمدى الإختلاط والتحرر الظاهرى هناك ولك أن تضع فى اعتبارك أن الشيخ رفاعة كان قادما من مجتمع محافظ إلى أقصي مدى ، فكتب هناك من الناحية الفكرية مؤيدا ومشجعا لنمط الحياة الأوربي بشكل مخجل ، وكتابه المشهور (تلخيص الإبريز)[٦٧] فيه من الأوصاف والعبارات التى يمتدح بها حياة اللهو والمجون الأوربي ما يندى له الجبين ، ولهذا السبب بالتحديد يحظى رفاعة الطهطاوى بتقدير وإعزاز التنويريين حتى اليوم ، ويعتبرونه قديس التجديد فهم لا يحترمون أو يقدرون شخصية تاريخية إطلاقا إلا إذا كان لها باع كبير فى مهاجمة الثوابت أيا كان نوعها واستمر الإختراق الفكرى ينمو شيئا فشيئا حتى حظى بالتشجيع الرسمى مع مجيئ حكم إسماعيل باشا الرجل الذى فتح للغرب الأوربي أوسع الأبواب لاستعباد مصر إقتصاديا وعسكريا وأخلاقيا ، فلم يكن إسماعيل يشبه أباه محمد على أو أخاه الأكبر المجاهد الكبير إبراهيم باشا[٦٨] فى حفاظهم على ثوابتهم العقائدية وإعتزازهم بها بل كان مفتونا أشد الفتنة بالغرب الأوربي وعندما حدث الإحتلال البريطانى بمؤامرة الخديو توفيق ابن اسماعيل بدأت الخطة الكبري للإختراق على يد البريطانيين وهم كما سبق أن قلنا أكبر عباقرة التاريخ فى اختراق واستغلال خلافات الشعوب وزرع الفتنة.

قال الشاب: متى نستطيع أن نقول أن الإختراق بدأ موجته الكبري؟!

---

(٦٧) تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز ـ رفاعة الطهطاوى ـ طبعة دار الهلال

(٦٨) كان إبراهيم باشا ابن محمد علىّ أفضل شخصية جاءت فى أسرة محمد على بأكملها ، فلم يكن ميالا لسفك الدماء كأبيه ولم يكن منحلا كباقي إخوته بل كان إماما مجاهدا بحق وقائدا عسكريا من طراز رفيع وأخاه طوسون كان أيضا مميزا بذلك لكن إبراهيم كان قائدا ملهما ومتمسك بعقيدته ومدرك تماما لأهداف الغرب ، ولولا وفاته فى حياة أبيه لسارت مصر ومن خلفها الشرق العربي مسيرة أخرى تماما غير تلك التى حدثت بعد مجيئ سعيد واسماعيل للمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة بحث بعنوان (قراءة فى التاريخ السياسي لقضية الأقصي ـ محمد جاد الزغبي ـ شبكة منابر ثقافية ، على هذا الرابط http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=123

قال الكاتب :

من الطبيعى أن موجته الكبري بدأت مع وقوع الإحتلال الإنجليزى فعليا عام 1882م ، وسيطر الإنجليز بعدها على التعليم والثقافة داخل مصر كأحد أهم الروافد التى يعتمدون عليها فى نشر سياستهم المعلنة (فرق تسد) ، ومنذ ذلك بدأت أفواج غفيرة من طلبة الجامعات تسافر لتلقي تعليمها الجامعى فى أوربا بدون أى ضوابط هذه المرة ..

فالطبيعى الذى حدث فى أيام محمد علىّ أن مصر كانت تستهدف من البعثات الأجنبية دراسة العلوم العملية فى الطب والهندسة ونحوها لتطوير الإقتصاد ، ولكن الوفود التى رحلت لأوربا بعد الإحتلال الإنجليزى أصبحت الغالبية العظمة منها تتجه لدراسة العلوم الإنسانية والإجتماعية كالقانون والفلسفة والإجتماع والآداب والفنون ، وكافة الرموز الثقافية والسياسية التى ظهرت فى بدايات القرن العشرين كلها تقريبا ذهبت وحصلت على شهاداتها من اوربا فى تلك العلوم ، ورغم أن هذا فى حد ذاته كمجال دراسي لا عيب فيه لكن العيب الرهيب يكمن فى أن العائدين من وفود الدارسين هناك عادوا بكامل الباقة الأوربية سواء فى التعليم أو الأخلاق والطباع أو منهج الحياة والموقف من الدين والتاريخ التراثي الحضاري للعرب والمسلمين وهذه ملحوظة تشي بسوء التدبير المتعمد إذ أنه لا يمكن أن نفهم ما هو السر خلف إصرار البعثات على جلب التقدم الأوربي مقرونا إقترانا تاما بأخلاقيات الغرب ومعتقداته والإيحاء بأن حضارة الغرب ما كانت لها أن تقوم إلا بالإنحلال الدينى والأخلاقي ؟! بمعنى أصح أنهم عادوا منتمين فعليا للحضارة الأوربية واكتسبوا كافة وجهات النظر المنحطة التى نشرها المستشرقون ضد حضارتنا وثوابتنا وتاريخنا وعقيدتنا ، فصار الحديث عن التطوير والتحديث منذ ذلك الحين منصب كليا على التخلى شبه النهائي عن كافة التقاليد أو الإنتماءات والغيرة على التراث العربي والإسلامى وهذه كارثة محققة حلت بتاريخنا وآدابنا بالذات عندما بدأ الجيل الأول المتمثل فى طه حسين وأحمد أمين وأمين الخولى وغيرهم فى إسقاط نظريات الأدب والنقد الأوربي على مناهج وتاريخ وآداب العرب فظهرت المدارس الجديدة التى تنظر للقيم الأخلاقية على أنها تراث تخلف ، وتنظر للثوابت الدينية وتحريم الجدال العقائدى على أنه تحجيم لدور العقل ، كما ظهرت النظريات التى تشكك فى ميراثنا الأدبي نفسه ونسبته للعرب وهو ما فعله طه حسين عندما اسقط فلسفة ديكارت فى منهج الشك وأسقط نظريات (تين وبرونتير وسانت وستي) التى سادت فى فرنسا فى

القرن التاسع العشر واستخدمها لمعالجة تاريخ الأدب العربي بينما هى نظريات مادية بحتة تصلح لهم ولا يمكن تطبيقها على منهجنا فى تراثنا العربي المحفوظ بعلوم النقل والإسناد وهو الأمر الذى يفتقده الغرب الأوربي [٦٩]

قال الشاب: ولهذا قامت المعارك ضد طه حسين ؟!

أجاب الكاتب:

فى البداية وعندما ظهر الفكر التنويري الغربي على يد جيل طه حسين وغيره ، واجه مقاومة عتيدة من أساطين الشريعة والأدب بل ومن الشخصيات العامة وثار الناس بشدة على ما ينشرونه بين الناس لكن الجبهة التغريبية كانت تمتلك دعم السلطة إلى جوار القوة الإعلامية الضخمة فى الصحافة فضلا على أن الإحتلال وضع كافة أصحاب التغريب فى مناصب قيادية وأتاح لهم المجالات ليحصدوا المواقع القيادية والصدارة فى نفس الوقت الذى تم تهميش التعليم الأزهرى والعربي وتقليص رواتبهم ومميزاتهم بحيث أصبح الطموح منصبا على الأنظمة الجديدة القائمة على الثقافة الغربية وحدها وأصبحت الدراية بآداب وفنون ولغات الغرب هى طريق الشهرة ، كما هو واقع الآن أيضا

وما يخفيه أصحاب دعاوى التجديد اليوم أن الإعتراض على أفكار التغريبيين لم يكن فقط من أهل الدين والشريعة بل كان الإعتراض شرسا من شخصيات محسوبة على التيار المدنى والليبرالى ، وقد نقلت لك من قبل شهادة وقول زكى مبارك فى طه حسين وأنه يستغرب بشدة توليه عمادة كلية الآداب وهو غير متخصص فى دراسة الأدب العربي من الأصل وشهادة الدكتوراة الخاصة به فى مجال آخر تماما ، هذا قول زكى مبارك ولم يتوقف زكى مبارك عند هذا الحد بل كتب مقالات مسلسلة فضح فيها جهل طه حسين بأبجديات الأدب العربي وتاريخه ورواياته وكيف أنه وقع فى تناقضات فادحة لأنه اعتمد على مصادر المستشرقين كأساس لكتاباته وبالتالى وقع فى هذه الأخطاء التى يمكن فهم وقوعها من الغرب المستشرق لكنها تصبح فضيحة علمية عندما تأتى ممن يلقبونه بعميد الأدب العربي ! فضلا على أن أبو الليبرالية فى مصر سعد زغلول له أقوال علنية فى طه حسين شديدة وعنيفة إلى أقصي مدى حيث قال فيه أمام الجماهير الغاضبة من كتبه ..

(هبوا أن مجنونا يهذى فى الطريق فما ضر العقلاء من ذلك ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر ؟!) هذا كلام سعد زغلول نفسه وهو من هو عند أهل الليبرالية والتجديد،

---

(٦٩) محاكمة فكر طه حسين ـ أنور الجندى.

بخلاف عمالقة الأدب والفكر وأساتذة الأدب العربي الذين أعلنوها حربا ضروسا على أفكار مجموعة التغريب بأكملها كالرافعى وعبد القادر المازنى ومحمود شاكر والعقاد وغيرهم كثير ، ولكن لأن قوة الإعلام منذ ذلك الحين مركزة فقط على أنصار التغريب فقد اندثرت عند العوام معظم هذه الأسماء ليتبقي فى الصدارة والواجهة ومسلسلات التليفزيون وألقاب التفخيم فريق التغريب وحده ولو أنك تتبعت الشخصيات التى حظيت بنشر قصصها فى كتب المدارس وفى الأفلام والمسلسلات فستجد التركيز طافحا حول رموز التغريب وحدهم دون أقرانهم من الشخصيات المحافظة التى تم تجاهلها تماما

قال الشاب: كنت قد نوهت لى عن مقولة منسوبة لأحمد أمين صاحب كتاب فجر الإسلام يحرض فيها على اقتباس الأفكار من منهج الإستشراق.

قال الكاتب:

هذه شهادة فى منتهى الخطورة ينقلها لنا الدكتور مصطفي السباعى فى كتابه القيم (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى) فقال:

(ولما ثار النقاش في الأزهر حول الإمام الزُّهْرِي عام ١٣٦٠ هـ قال الأستاذ أحمد أمين للدكتور علي حسن عبدالقادر وهو الذي أثيرت الضجة حوله:

إنَّ الأزهر لاَ يقبل الأراء العِلْمِيَّةَ الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبًا من أقوال المُسْتَشْرِقِينَ ألاَّ تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريِّين على أنها بحث منك، وألبسها ثوبًا رقيقًا لا يزعجهم مسها، كما فعلتُ أنا في " فجر الإسلام " و" ضُحَاهُ " هذا ما سمعته من الدكتور علي حسن يؤمئذ نقلاً عن الأستاذ أحمد أمين) أى أن أحمد أمين أعطانا شهادة مباشرة عن منهج أهل التغريب بأكملهم وهو المنهج الذى لاحظناه واكتشفناه فى خط سيرهم الفكرى من بدايات القرن العشرين وحتى اليوم ، نفس المنهج ونفس الخط بلا أدنى تغيير حيث يمكننا أنة نلخصه بالأمثلة عبر العقود المختلفة خلال القرن العشرين ، فهذا المنهج قائم على ما يلي:

أولا: الإعلان التام عن الإنتماء للحضارة الأوربية من الناحية الأخلاقية والدينية والإجتماعية ونشر ثقافة تعامل أوربا مع الأديان لإسقاطها على الإسلام رغم الإختلاف الفادح بين منهج الكنيسة الأوربية التى ثارت عليها جماهير الثورة الفرنسية وبين الإسلام وتجاهل الحقيقة التاريخية التى تعلن عن نفسها من أن الحضارة الإسلامية كلها هى نتاج الوحى الإسلامى والشريعة، بينما كانت سيطرة الكنيسة هى سبب تأخر أوربا فى عصور الظلام

ثانيا: تبنى كامل أفكار الإستشراق والإلحاد وإعلاء قيمة الفلسفة الدينية الغربية

ومعاملة التشريع الإسلامى بنفس الشكل الذى تعامل به المعتزلة قديما وأول مبادئه هى هدم علوم الدين تماما واستبدال الفلسفة بها.

ثالثا : التركيز التام على هدم علوم الحديث بالتحديد ، ليس لاستهداف السنة النبوية وحدها وإنما لهدم علم الحديث الذى انفردت به الأمة الإسلامية ونقلت به القرآن والسنة والفنون والعلوم والآداب نقلا أمينا وهو ما عجزت عنه أوربا.

رابعا: الهجوم على التراث العربي لأهل السنة بأكمله فى نفس الوقت الذى يوجهون فيه الإحياء والتعظيم لأفكار وكتب المبتدعة والملاحدة فى الزمن القديم ومنذ عصر طه جسين وحتى اليوم اتفق التغريبيون على تمجيد الشيعة الباطنية والفلاسفة وأفكار إخوان الصفا كما بذلوا جهدا كبيرا جدا فى الإشادة بالتراث المخجل لكتب البغاء وأدب الخلاعة والمجون واعتبارها من أرقي ألوان الأدب!

خامسا: اعتمد أهل التغريب من جيل طه حسين وأحمد أمين ووصولا إلى جيل محمد خلف الله وغالى شكرى وفرج فودة ونصر أبوزيد على سمات معينة انطبقت عليهم جميعا وهى السرقات العلمية المباشرة وغير المباشرة لبحوث الإستشراق وتقديمها على أنها نتاج بحوثهم وهذا أمر أثبت نفسه من خلال اعتراف أحمد أمين وأيضا من خلال استقراء كتبهم نفسها التى كادت أن تعلن صفحاتها عن النقل الكامل من مؤلفات المستشرقين حتى أن العلامة أحمد شاكر سخر من كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين وقال إن إضافات طه حسين على النص الأصلي للمستشرق مرجليوث أشبه بالحاشية على الكتاب الأصلي أى مجرد ملحوظات مضافة على نص مسروق بالكامل[٧٠] كذلك يجمعهم صفة عجيبة وهى الوقوع فى الجهل الفادح والفاضح أحيانا حتى فى مجال تخصصهم ، ولو طالعت كتاب الرافعى (تحت راية القرآن) وهو كتاب عملاق مؤسس فى نقد وتشريح كتاب الشعر الجاهلى ستكشف بسهولة أن هناك أخطاء علمية وتاريخية لا يمكن أن تغيب عن مثقف عادى فى الأدب العربي ورغم ذلك وقع فيها طه حسين بالمثل فضائح مماثلة تورط فيها نصر أبوزيد العلمانى المشهور والذى اتهم الإمام الشافعى فى أحد بحوثه بأنه كان عميلا للحكم الأموى وأنهم كافئوه بأنهم جعلوه حاكما على نجران ، وهذه فضيحة بالطبع لأن الإمام الشافعى كان ميلاده بعد انهيار الخلافة الأموية كلها بسنوات وقد ولد ونشأ فى خلافة العباسيين وهى فضيحة علمية تسقط أى طالب تاريخ عادى وليس أستاذا جامعيا

(٧٠) أباطيل وأسمار ـ محمود شاكر .

مثل نصر أبو زيد وهذه الفضائح لا يمكن أن تقع من أمثال هؤلاء ـ وبعضهم أساتذة جامعات ـ إلا لسبب واحد وهو أنهم ينقلون عن غيرهم ولا يبحثون بأنفسهم وهذا النقل يتم حتى دون مراجعة مما يسبب هذا الفشل الذريع !

أيضا تجمعهم صفة التطابق أحيانا فى منهج النشر وتحس أن كل جيل من أجيالهم يمارس دوره فى التغريب من نفس الكتاب والخطة المرسومة له، وهذا الأمر أصبح حقيقة واقعية بالصوت والصورة فى عصرنا الحالى، فقد نشر برنامج (قرار إزالة) المتخصص فى رد الشبهات حلقات متتابعة بها توثيق مدهش للغاية لمؤتمرات المجددين المعاصرين وهم يتلقون المحاضرات فى أوربا على يد شخصيات غربية وعربية تعطيهم برنامجا وجدولا واحدا ليثيروا نفس الشبهات ببلادهم فى نفس التوقيت ونظرا لأننا فى عصر الفضائيات فقد تم اكتشاف هذا بسهولة عندما خرج العلمانيون والتغريبيون فى أقطار عربية مختلفة بنفس الكلام ونفس الأفكار بلا أدنى اختلاف بل وبنفس العبارات دون تغيير ! ، وهذه مصيبة حقيقية فهم لا يبذلون أدنى جهد حتى فى إخفاء نواياهم ونشاطهم هذه الأيام اعتمادا على أن المتابعين من الناس قلة قليلة !

وبعد كل هذا التطابق فى المصادر والدوافع والأفكار والأهداف بل وحتى فى طريقة تقديم أفكارهم لا يمكن لعاقل أن ينكر ما يراه ، وأننا أمام صورة متكاملة من مؤامرة مستمرة منذ قرن كامل تمشي بنفس الوتيرة دون تغيير اعتمادا على الذاكرة الصفرية للشعب العربي.

قال الشـــاب:

لكن تبقي المعضلة كيف وقع هؤلاء فى فخ التغريب ؟!

أجاب الكاتب:

الإجابة بسيطة منذ وقوع التغريب فى الجيل الأول وقد سبق أن نوهت فى الفصل الأول عن ذلك ، فالغرب مع تقدمه التكنولوجى والعلمى فى ظل تأخر العرب والمسلمين كان ولا زال يمثل إغراء غير تقليدى لجحافل العباقرة والمتميزين من الشباب ، وهؤلاء بسبب جهل وضحالة الأنظمة الحاكمة فى أقطارنا ، هربوا إلى الغرب بكل بهرجته وإغراءاته

وعندما ذهبت الموجات الأولى من الدارسين للغرب حدث لهم ما يسميه المتخصصون (صدمة الغرب) ، وهى حالة تحدث لمن يخرج من مجتمع محافظ منغلق إلى مجتمع مفتوح دفعة واحدة ، وعندما يدرسون مناهج الغرب ويعتادون على التحرر الكامل من كل

شيئ فضلا على العامل الأخطر وهو الحصول على الشهادات الغربية والتقدير الباذخ منهم والجوائز والشهرة العالمية ، كل هذا يجعلهم يقعون فريسة للمنهج الغربي بالكامل دون بذل أدنى جهد، وعندما يعود هؤلاء إلى أوطانهم محملين بكم هائل من الغرور بالإحتفاء الغربي ويحاولون نشر هذه الأفكار فى مجتمعاتهم ، يصادفون اللوم والتقريع بالطبع ، وهذا لا يردهم عما يفعلون بل يزيدهم إصرارا فى الواقع ..

لأن المجتمعات العربية والإسلامية عندما تفاجئ بالهجوم على الثوابت بأبشع العبارات من هؤلاء التغريبيين يهاجمونهم بضراوة ، وعقول أهل التغريب تكون مبرمجة تلقائيا على أن الغرب الذى احتفي بهم وبعبقرياتهم هم الذين على حق بينما مجتمعاتهم التى تنتقد فيهم فكر الإنحلال ليست إلا مجتمعات منغلقة وحاقدة لا تستطيع تقدير عبقريتهم كما يقدرها الأوربيون وغيرهم !

وبالتالى تكون تلك النقطة هى المقتل الحقيقي لإنقلاب كل هؤلاء على كافة الثوابت الدينية والإجتماعية والأخلاقية التى تربوا عليها ويصبحوا منتمين لكل أهواء الغرب وسياساتهم حتى تلك السياسات التى تستهدف تفكيك الدول العربية والقضاء على ما تبقي فيها من مفهوم الدولة ومن العجيب أن هناك مشاهد ملفتة للنظر كان ينبغي أن ينتبه لها مثقفو عهد التغريب الأول ، فرموز التغريب الأوائل الذين قدموا أنفسهم على أنهم من مجددى الأدب العربي لا يعرفون عن الأدب العربي نفسه شيئا ولا يعنيهم ، وقد طالعت تسجيلا تليفزيونيا تم تسجيله فى الستينات لطه حسين مع عدد من رموز الأدباء الشبان وقتها والذين أصبحوا رموز الأدب العربي فيما بعد ، لاحظت فيه ملحوظة صادمة ، فاللقاء الذى تم بإدارة ورعاية أنيس منصور وكان الحضور جميعا من أساطين الأدب بزعامة عميد الأدب العربي ، اللقاء امتد لأكثر من ساعتين كاملتين ولم يكن فيه أدنى ذكر للأدب العربي من قريب أو بعيد ولم يتم ذكر شخصية أدبية عربية من التراث العربي الباذخ إطلاقا إلا شخصية أبي العلاء المعري ، وبالمقابل احتشد الحديث كله من طه حسين والحضور حول الأدب الغربي ورموزه بالأسماء والأعمال والمناهج !

وأحب أن أؤكد لك للمرة العاشرة .. أن طه حسين رحمه الله وعدد كبير من هؤلاء أدركوا فى مرحلة ما من عمرهم عمق الفخ الذى وقعوا فيه وصححوا بعض الأفكار بالتراجع ، ولكن مثقفي وزارة الثقافة المصرية الرسميون ، بالذات خلال عصر مبارك وحتى اليوم لا يزالون يتشبثون بتلك الأفكار ويحاولون نشرها بكل الوسائل ، ولا زالت

أجيال التغريب القديمة تفرخ كل يوم عبر الإعلام الموجه أفكار متجددة لنفس السياسة القديمة التى لم تتغير خلال قرن كامل من الزمان !

قال الشـــاب :

بعد هذا الحوار العقلي الممتد أين يمكن لنا أن نجد الخطوة الأولى فى طريق العلم والثقافة اللازمة لرد الشبهات والتضليل عن طريق البحث العلمى هذه المرة ، بمعنى أوضح ما هى أول الطرق التى نتبعها لندرس الحد الأدنى من ثوابت الدين والتاريخ

أجاب الكاتب:

فى البداية ينبغي أن تعلم يقينا أن دراسة مبادئ علوم الشريعة ومنهج التاريخ الإسلامى ليست معضلة ، وأنت كمثقف مسلم لست بحاجة إلى الدراسة العلمية المتعمقة كمتخصص حتى يمكنك أن تجيد بنفسك رد الشبهات ، بل يكفيك المبادئ الأساسية لأكبر القضايا والإشكاليات حتى تصبح محصنا ضد كل تزييف أو تزوير أو فى الحد الأدنى يصبح من الصعب خداعك بشبهة ملفقة كالشبهات المنتشرة هذه الأيام ..

وأول الطريق بلا شك هو معرفة ودراسة أساسيات علوم الحديث باعتبارها هى المجال الأكثر أهمية وخطورة لنقل كل شيئ ، وكذلك دراسة منهج كتابة التاريخ الإسلامى وكيفية التمييز بين الصحيح والضعيف ، والأهم تمييز المراجع اللازمة للحصول على المعلومة الدينية والتاريخية بشكل سليم..

وما دام الحوار التقليدى قد أسس عندك الأساسيات فدعنا فى الفصلين القادمين نركز على الجانب العلمى المتخصص ولكن بطريقة مبسطة ومعاصرة قدر الإمكان تستطيع بها فهم الأصول الدينية لعلم الحديث والتاريخ بدون الحاجة للتعمق فى اللغة والمصطلحات الصعبة التى تأسست بها هذه العلوم ، وعليه فالفصلين القادمين من الكتاب أشبه ببحث علمى مختصر فى هذين الفرعين يصلح لأن يكون أساسا تنطلق منه إلى المراجع الأكثر شمولا وتخصصا ..